خصائص أهل السنة

الدكتور
أحمد فريد



دار الخلفاء الراشدين
الاسكندرية

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/١٥٢٢٥

توزيع

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٢٠١٥٢٩٠٨-٠١٠٥٠١٣١٥١

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية - مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٦٧١٤٧٦٨-٠١٠٢٧٧١٠٦٠



مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد فقد أخبر المعصوم ﷺ الذي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ ، أن الأمة سوف تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، منها واحدة ناجية ، تصير إلى جنة عالية ، قطوفها دانية ، وبواقيها عادية ، تصير إلى الهاوية ، والنار الحامية ، ولا شك في أن الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة ، والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة الذين لم تزل قلوبهم على الحق متفقة مؤتلفة ، وأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة ولا مختلفة ، فانتدبوا لنصرة الدين دعوةً وجهادًا ، وقاوموا أعداءه جماعات وفرادى ، ولم يخشوا في الله لومة لائم ، ولم يبالوا بعداوة من عادى ، قهروا البدع المضلة ، وشردوا بأهلها ، واجتثوا شجرة الإلحاد بمعاول السنة من أصلها ، فبهتوهم بالبراهين القطعية في المحافل العديدة ، وصنفوا في

رد شبههم ودفع باطلهم وإدحاض حججهم الكتب المفيدة ، فمنهم المتقصي للرد على الطوائف بأسرها ، ومنهم المخلص لعقائد السلف الصالح من غيرها ، ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين إلا ويقيد الله لها جيشًا من عباده المخلصين .

فحفظ الله ﷻ بهم دينه على العباد ، وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد ، وذلك مصداق قول الله ﷻ بحفظ الذكر الذي أنزله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

وإعلاء لكلمته وتأييدًا لحزبه إذ يقول : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٣] .

وقال ﷻ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

قال ابن القيم رحمه الله [١] : « قد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته الإسلام والسنة ، وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحًا ،

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (٤، ٥) دار الفكر .

حتى إن القلب إذا باشر روح السنة ليرقص فرحًا ، أحزن ما يكون الناس ، فإن السنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين ، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إلى الله من الواصلين ، تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم ، ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم ، وأهل السنة هم المبيضة وجوههم حينما تسود وجوه أهل البدعة . ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق .

وهي الحياة والنور اللذين بهما سعادة العبد وفوزه قال تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

وصاحب السنة حي القلب مستنيره وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه » انتهى .

ففي هذه الأزمنة المتأخرة التي اندرست فيها أعلام

الشريعة ، وظهرت فيها البدع الشنيعة ، وعاد الإسلام كما بدأ غريبًا ، ما أجدرنا بقول ابن المبارك : « واعلم أخي أن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة » ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، فإلى الله نشكوا وحشتنا ، وذهاب الإخوان ، وقلة الأعوان ، وظهور البدع ، وإلى الله نشكوا عظيم ما حل بهذه الأمة ، من ذهاب العلماء وأهل السنة ، وظهور البدع .

وما أحقنا بقول سفيان ليوسف بن أسباط : « أي يوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة » .

ولا شك في أن من الدواهي الفواقر ، والقواصم القواهر : انتشار الجهل ، وقلة علماء السنة ، ففي مثل هذه الأزمنة يكثر المفتون للناس بآرائهم ، والسائرون وراء أهوائهم وأغراضهم .

قال ابن الجوزى رحمه الله[1] :

« ابتعث الله سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ فرفع المقابح وشرع المصالح ، فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره ، فلما انسلخ نهار وجودهم ، أقبلت أغباش الظلمات ، فعادت الأهواء تنشئ بدعًا ، وتضيق سبيلًا مازال متسعًا ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعًا ، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ، ويفرق ويؤلف ، وإنما يصلح له التلصص في ليل الجهل ، فلو طلع عليه صبح العلم افتضح » .

وإني بعون الله وحوله ، أُذَكِّرُ بهذه الرسالة طوائفَ المسلمين ، وجماعات الدعوة إلى الدين القويم ، بخصائص الفرقة الناجية ، التي لا يَزِلُّ بها القدم ، ولا تزول عنها النعم ، وقدمت بين يدي الخصائص من الفصول ، ما هو كالمقدمات لهذه الأصول ، كالتعريف بالسنة والترغيب فيها ، وذم مخالفيها مع تعريف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، وذم الرأي وبيان علامات أهل الأهواء الردية ، والآراء المردية ،

---

(١) تلبيس إبليس (٤) .

من فرق الضلالة ، الذين يرون ظلام الظلم نورًا ، واعتقاد الحق ثبورًا ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠] .

﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٧٣] .

والله تعالى المسؤول أن يجعل عملي خالصًا لوجهة الكريم وأن يَهْدِيَنِي وإخواني المسلمين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو سميع الدعاء ، وأهل الرجاء ، وهو مولانا ونعم الوكيل .

فصل
في بيان معنى السنة وفضلها

قال شيخ الإسلام رحمه الله [(١)] :

« اعلم أن السنة طريقة رسول الله ﷺ ، والتسنن بسلوكها وإصابتها ، وهي أقسام ثلاثة : أقوال وأعمال وعقائد .

فالأقوال : نحو الأذكار والتسبيحات المأثورة .

والأفعال : مثل سنن الصلاة والصيام والصدقات المذكورة ، ونحو السير المرضية والآداب المحكية .

فهذان القسمان في عداد التأكيد والاستحباب واكتساب الأجر والثواب .

والقسم الثالث سنة **العقائد** : وهي من الإيمان إحدى القواعد » .

وقال ابن رجب رحمه الله [(٢)] :

« السنة هي الطريق المسلوك ، فيشمل ذلك التمسك بما كان

(١) نقض المنطق (١٤٧) لابن تيمية .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٤٩) وقوله « إلا أنها » أي السنة في الاعتقاد .

عليه ـ أي الرسول ﷺ ـ وخلفاؤه الراشدون ، من الاعتقادات ، والأعمال والأقوال ، وهذه هي السنة الكاملة ، ولهذا كان السلف قديمًا لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله ، وروى معنى ذلك عن الحسن والأوزاعى والفضيل بن عياض . وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد ، إلا أنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم » .

وقال الشاطبي رحمه الله (١) :

« يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولًا عن النبي ﷺ على الخصوص ، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز ، بل إنما نص عليه من جهته ﷺ ، كان بيانًا لما في الكتاب أوْلا ، ويطلق أيضًا في مقابلة البدعة ، فيقال : « فلان على سنة » إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أوْلا ، ويقال : « فلان على بدعة » إذا عمل على خلاف ذلك ، وكأن هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة ، فأطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة ، وإن كان

---

(١) الموافقات (٤/ ٣-٤)

العمل بمقتضى الكتاب ، ويطلق أيضًا لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة ، وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد ، لكونه اتباعًا لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا ، أو اجتهادًا مجتمعًا عليه منهم ، أو من خلفائهم ، فإن إجماعهم إجماع ، وعمل خلفائهم راجع أيضًا إلى حقيقة الإجماع ، من جهة حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحي عندهم .

فيدخل تحت هذا الإطلاق المصالح المرسلة والاستحسان ، كما فعلوا في حد الخمر ، وتضمين الصناع ، وجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة ، وتدوين الدواوين ، وما أشبه ذلك ، ويدل على هذا الإطلاق قوله ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين** »[(١)] .

وإذا جمع ما تقدم تحصل منه في الإطلاق أربعة أوجه : قوله ﷺ ، وفعله ، وإقراره . وكل ذلك إما متلقى بالوحي أو بالاجتهاد بناء على صحة الاجتهاد في حقه ، وهذه ثلاثة

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦ - ١٢٧) ، وأبو داود (٤٥٨٣) ، والترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وحسنه البغوي ، وصححه الألباني .

والرابع ما جاء عن الصحابة أو الخلفاء ، وهو وإن كان ينقسم إلى القول والفعل والإقرار ، ولكن عد وجهًا واحدًا إذا لم يتفصل الأمر فيما جاء عن الصحابة تفصيل ما جاء عن النبي ﷺ » .

وقال ابن الجوزى رحمه الله [1] :

« السنة في اللغة الطريق ، ولا ريب أن أهل النقل والأثر المتتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة ، لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه » .

فحيث جاء الأمر بلزوم السنة والتمسك بها فالمقصود به لزوم ما تركنا عليه رسول الله ﷺ وما مضى عليه أصحابه رضي الله عنهم ، ولا ريب أن أهل السنة هم أهل العلم والأثر ، الذين صحبوا أنفاسه ﷺ ونقلوا أخباره وآثاره ، وقد حض الشرع على التزام هديه ﷺ ولزوم طريقته .

---

(١) تلبيس إبليس (١٦) لابن الجوزي .

الآيات في وجوب طاعة الرسول ﷺ والاهتداء بهديه

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وقال ﷻ : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وقال ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال ﷻ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

الأحاديث في وجوب طاعته ﷺ والاهتداء بهديه ﷺ

- قال النبي ﷺ : « **إن خير الحديث كتاب الله ﷻ ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة** » (١) .

- وعن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ : « **لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك** » (٢) .

- وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى

---

(١) رواه مسلم (٦/ ١٥٣) الجمعة : باب خطبته ﷺ في الجمعة وقوله : « **وخير الهدي هدي محمد** ﷺ » قال النووي : وقال القاضي عياض : رويناه في مسلم بالضم ، وفي غيره بالفتح ، وبالفتح ذكره الهروي وفسره الهروي على رواية الفتح بالطريق ، أي أحسن الطرق طريق محمد ﷺ ، وأما على رواية الضم فمعناه الدلالة والإرشاد .

(٢) قال الألباني : حديث صحيح رجاله ثقات على ضعف في أبي صالح ، ولكنه له متابع قوي من رواية أحمد وابن ماجه والحاكم ، ويشهد له الطريق الآتية ثم ساقها — ظلال الجنة (١/ ٢٧) . **والبيضاء** : أي الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه أصلًا .

النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب . قال : فغضب ، وقال : « **أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية** » [١] .

– وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل عمل شِرَة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك** » [٢] .

– وعن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ،

---

(١) قال الألباني : حديث حسن إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف ، ولكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في المشكاة (١٧٧) ثم خرجت بعضها في الإرواء (١٥٨٩) – ظلال الجنة (١/ ٢٧) .

(٢) قال الألباني : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه ابن حبان (٦٥٣) ، والطحاوي في المشكل (٢/ ٨٨) ، وأحمد (٢/ ١٨٨، ٢١٠) من طريق شعبة عن حصين ابن عبد الرحمن به ، وتابعه مغيرة الضبي عن مجاهد به أخرجه أحمد (٢/ ١٥٨) ، وتابعه أبو العباس مولى بني الديل عن عبد الله بن عمرو به ، أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥) وسنده حسن ، وأبو العباس هذا اسمه السائب بن فروخ المكي . وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا نحوه خرجته في الترغيب (١/ ٤٦) وإسناده حسن ـ ظلال الجنة (١/ ٢٨) .

ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، فقال : « **أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن كان عبدًا حبشيًا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة** » [1] .

قوله : « **عضوا عليها بالنواجذ** » ، قال أبو الطيب محمد شمس الحق أبادي : « جمع ناجذة بالذال المعجمة قيل هو الضرس الأخير ، وقيل هو مرادف السنن ، وهو كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها » .

وقال الخطابي : « وقد يكون معناه أيضًا الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه » .

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧) ، وأبو داود (٤٥٨٣) السنة : باب لزوم السنة ، والترمذي (٢٦٧٦) العلم : باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، وابن ماجه (٤٣) ، والدارمي (١/ ٤٤، ٤٥) ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وقال البغوي في شرح السنة : هذا حديث حسن (١/ ٢٠٥) ، وصححه الألباني في الظلال

وقال ﷺ : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » .[(١)]

قال النووي : « من تركها إعراضًا عنها غير معتقد لها على ما هي عليه » .

الآثار في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة :

روى أبو شامة عن مبارك عن الحسن البصري : « السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله ، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقي ، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ، ولا مع أهل البدع في بدعهم ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك إن شاء الله فكونوا » .

قال أبيّ بن كعب : « إن اقتصادًا في سبيل وسنة ، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة » .

كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر فكتب :

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٩/ ٨٩ ، ٩٠) النكاح : باب الترغيب في النكاح ، ومسلم (٩/ ١٧٦) النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنته ، ورواه أحمد ، والنسائي .

« أما بعد أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته ، وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك بإذن الله عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها ، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها ، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم ، فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى ، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم إن ما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفى ، ووصفوا منه ما يشفى فما دونهم من مَقْصرٍ ، وما فوقهم من مَحْسَرٍ ، وقد قصر قوم دونهم فَجَفَوا ، وطمح عنهم أقوام فغلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم »[1] .

---

(١) رواه أبو داود (١٢، ٣٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩) رقم (٤٥٨٨) عون المعبود .

قال أبو الطيب محمد شمس الحق أبادي : « فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة » أي من الضلالة والمهلكات وعذاب الله تعالى ونقمته ، وقوله : « وقد قصر قوم دونهم » أي قصر دون السلف الصالحين قصرًا أزيد من قصرهم . « فجفوا » أي لم يلزموا مكانهم الواجب قيامهم فيه « وطمح عنهم أقوام فغلوا » أي ارتفع عن السلف أقوام أي شددوا حتى جاوزوا في الحد ، فهؤلاء قد أفرطوا وأسرفوا في الكشف كما أن أولئك قد فرطوا وقتروا فيه ».

قال الزهري : الاعتصام بالسنة نجاة لأن السنة كما قال مالك مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك .

وعن سفيان قال : لا يقبل قول إلا بعمل ، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة .

قال الحسن البصري : ادَّعى ناس محبة الله ﷻ فابتلاهم بهذه الآية : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وعن سفيان الثوري قال : استوصوا بأهل السنة خيرًا فهم غرباء .

وعن ابن شوذب قال : إن نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها .

وعن المعتمر بن سليمان قال : دخلت على أبي وأنا منكسر فقال لي : مالك ؟ قلت : مات صديق لي . فقال : مات على السنة ؟ قلت : نعم . قال : تحزن عليه !!!

وقال ابن مسعود ﷺ : من كان مستنًا فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم كانوا على الهدى المستقيم .

وقال شريح : إن السنة قد سبقت قياسكم ؛ فاتبع ولا تبتدع ، فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر .

وقال ذو النون المصري : من علامة حب الله متابعة حبيب الله ﷺ ، في أخلاقة وأفعاله وهديه وسنته .

فصل
في ذم البدع ومجانبة أهل الأهواء

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ ﴾ [آل عمران : ١٠٥-١٠٦] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف ، ثم فصل مآل الفريقين وأين توصل أهلها كل من الطريقين فقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى : ١٤] .

أي على علم أن الفرقة ضلالة ، ولكنهم فعلوا بغيًا أي للبغي .

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ١٥٩] .

قال البغوي : هم أهل البدع والأهواء .

وقال ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

قال الشاطبي : الصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة ، والسبل هي سبل أهل الاختلاف ، الحائدين عن الصراط المستقيم ، هي معاصي لم يضعها أحد طريقًا تسلك دائمًا على مضاهاة التشريع ، وإنما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات .

وقال ﷻ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ [النحل : ٩] .

فالسبيل القصد هو طريق الحق ، وما سواه جائر عن الحق أي عادل عنه ، وهي طرق البدع والضلالات أعاذنا الله من سلوكها بفضله ، وكفى بالجائر أن يحذر منه فالسياق يدل على التحذير والنهي .

وعن التسترى : ﴿ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ طريق السنة ﴿ وَمِنْهَا

جَآيِرٌ﴾ يعني إلى النار وذلك الملل والبدع .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[الأنعام : ١٥٩] .

قال ابن عطية : هذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدال والخوض في الكلام .

وقال ابن بطال في شرح البخاري عن أبي حنيفة أنه قال : لقيت عطاء بن رباح بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة .قال : أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ؟ قلت : نعم . قال : من أي الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ، ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحدًا بذنب . قال عطاء : عرفت فالزم .

وجاء عن سفيان بن عيينة وأبي قلابة وغيرهما أنهم قالوا : كل صاحب بدعة أو فرية ذليل . واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٢] .

والأحاديث في ذم البدع وأهلها صحيحة صريحة :

منها ما أخرجه الشيخان في صحيحهما عن عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » (١) .

قال النووي (٢) : قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود ، ومعناه فهو باطل غير معتد به ، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه ﷺ ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات . قال : وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به .

وقال ابن رجب ﵀ (٣) : فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل في الدين يُرجع إليه فهو ضلالة ، والدين برئ منه ، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٣٠١) الصلح : باب إذا اصطلحوا على صلح جور ، ومسلم (١٢/ ١٦) الأقضية : باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، وفي رواية « **من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد** » .

(٢) باختصار من صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ١٦) .

(٣) باختصار من جامع العلوم والحكم (٢٥٢: ٢٥٤) .

الأعمال ، أو الأقوال الظاهرة والباطنة .

وفي هذه الأزمان التي بعُد العهد فيها بعلوم السلف ، يتعين ضبط ما نقل عنهم من ذلك كله ، ليتميز ما كان من العلم موجودًا في زمانهم وما أحدث في ذلك بعدهم ، فيُعلم بذلك السنة من البدعة .

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « **إياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة** » [(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا بكم إن شاء الله لاحقون ، وددت أني قد رأيت إخواننا** » ، قالوا : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ قال : « **بل أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم على الحوض** » ، قالوا : يا رسول الله

---

(١) قال الألباني : حديث صحيح رجال إسناده كلهم ثقات ، غير أن أبا إسحاق وهو عمرو بن عبد الله السبيعي مدلس وكان اختلط ، لكن الحديث يشهد له ما قبله وما بعده ، والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٦) من طريق محمد بن جعفر بن أبي كثير به أتم منه مطولًا فيه مواعظ (ظلال الجنة) (١ / ١٧) .

كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟. قال : « **أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟**» قالوا : بلى . قال : « **فإنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، فليُذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم . فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : فسحقًا ، فسحقًا ، فسحقًا** » [1] .

قوله : « **وأنا فرطهم** » أي أتقدمهم . وقوله : « **ألا هلم** » أي تعالوا ، وقوله : « **سحقا** » أي بعدًا يريد باعدهم الله .

قال الله ﷻ : ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١١] .

والسحيق : البعيد .

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام**

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (٣/ ١٣٩) الطهارة : باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، ومالك في الموطأ (١/ ٢٨، ٢٩) الطهارة : باب جامع الوضوء ، ورواه البغوي في شرح السنة (١/ ٣٢٣،٣٢٢) الطهارة : باب فضل الوضوء .

من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا »[١] .

وعن أنس مرفوعًا : « إن الله احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة »[٢] .

الآثار عن السلف الصالحين في ذم البدع والمبتدعين :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم .

وعن الفضيل بن عياض قال : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين .

وعن الحسن قال : لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك ، أو تخالفه فيمرض قلبك .

وعن أيوب السختياني أنه كان يقول : ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا .

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ٢٧٧) العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلي هدى أو ضلالة .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في « تاريخ أصبهان » (٢٥٩) ، والطبراني في « الأوسط » (٤٣٦٠) ، والهروي في « ذم الكلام » (٦/ ١٠١) والبيهقي في « شعب الإيمان » ، وقال الألباني : هذا إسناد صحيح « الصحيحة » (٤/ ١٥٤، ١٦٢٠) .

وكان مالك كثيرًا ما ينشد :

وخيرُ أمورِ الدِّينِ ما كان سُنَّةً

وشرُّ الأمورِ المُحدثاتُ البدائعُ

وقال سفيان الثوري : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها .

وقال الربيع عن الشافعي : لأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير له من أن يبتليه بالكلام .

وذكر الآجري أن ابن سيرين كان يرى أسرع الناس ردة أهل الأهواء .

وقال الحسن بن الصباح : سمعت الشافعي يقول : حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويُقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام .

وعن الفضيل بن عياض قال : إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب بدعة إلى الله ﷻ عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الدين .

فصل
فيما ورد في ظهور الاختلاف والافتراق في هذه الأمة

قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام : ٦٥] .

فعن ابن عباس في ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ هو الأهواء المختلفة ويكون على هذا قوله : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ تكفير بعضهم بعضًا .

وقال مجاهد وأبو العالية : إن الآية لأمة محمد ﷺ .

قال أبو العالية : هي أربع ، ظهر اثنتان بعد وفاة النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعًا وأذيق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان فهما ولا بد واقعتان ، الخسف من تحت أرجلكم ، والمسخ من فوقكم .

وهذا كله صريح في أن اختلاف الأهواء مكروه غير محبوب ، ومذموم غير ممدوح .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود : ١١٨-١١٩] .

عن عكرمة ﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ يعني في الأهواء ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ هم أهل السنة .

وقال ابن وهب سمعت مالكًا يقول : ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف وأهل الأهواء من هذه الآية ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

قال مالك : فأي بيان أبين من هذا ؟ فرأيته يتأولها لأهل الأهواء ، ورواه ابن القاسم وزاد قال لي مالك : إنما هذه الآية لأهل القبلة .

ومن أدلة السنة على ظهور الاختلاف والافتراق في أمته ﷺ :

ـ قوله في حديث معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ؛ ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة** » (١) .

---

(١) رواه أبو داود (٢/٥٠٣-٥٠٤) والدارمي (٢/٢٤١) وأحمد (٤/١٠٢)

وفي رواية عن أبي عامر الهوزاني أنه حج مع معاوية ، فسمعه يقول : قام فينا رسول الله ﷺ يومًا فذكر : « **وأن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة ، ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوىً يتجارى بهم ذلك الهوى ، كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يدع عرقًا ولا مفصلًا إلا دخله** »[1] .

وهذا الحديث فيه مسائل :

المسألة الأولى[2] :

أن هذه الفرق تحتمل من جهة النظر أن يكونوا خارجين عن الملة بسبب ما أحدثوا ، ويحتمل أن لا يكونوا خارجين عن

والحاكم (١/ ١٢٨) وقال الحاكم : هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث، ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ « وإسناده حسن » وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : هو حديث صحيح مشهور ، وصححه الشاطبي في « الاعتصام » ، انظر « الصحيحة » للألباني رقم(٢٠٤).

(١) قال الألباني في « ظلال الجنة » : حديث صحيح بما قبله رجاله ثقات غير أن ابن مصفى واسمه محمد الحمصي القرشي صدوق له أوهام ، وكان يدلس ، لكنه قد صرح بالتحديث ، ومثله بقية ولكنه صرح بالتحديث عند أبي داود في سننه رقم (٤٥٩٧) كتاب السنة ومعه ظلال الجنة (١/ ٢٨) .

(٢) « الاعتصام » (٢/ ١٩٤ : ١٩٨) باختصار

الإسلام جملة وإن كانوا قد خرجوا عن جملة من شرائعه وأصوله .

ولقد فصل بعض المتأخرين في التكفير تفصيلًا في هذه الفرق ، فقال ما كان من البدع راجعًا إلى اعتقاد وجود إله مع الله كقول السبئيه في علي ﷺ « إنه إله » أو إنكار رسالة محمد ﷺ كقول الغرابية : « إن جبريل غلط في الرسالة فأداها إلى محمد ﷺ وعلي كان صاحبها » أو استباحة المحرمات وإسقاط الواجبات وإنكار ما جاء به الرسول ﷺ ، كأكثر الغلاة من الشيعة مما لا يختلف المسلمون في التكفير به ، وما سوى ذلك من المقالات فلا يبعد أن يكون معتقدها غير كافر .

وأما قوله ﷺ : « **كلها في النار إلا واحدة** » يقتضي إنفاذ الوعيد ظاهرًا ، ويبقى الخلود وعدمه مسكوتًا عنه فلا دليل على شيء مما أردنا ، إذ الوعيد بالنار قد يتعلق بعصاة المؤمنين ، كما يتعلق بالكفار على الجملة ، وإن تباينا في التخليد وعدمه .

قال الشاطبي رحمه الله [1] :

وقد اختلفت الأمة في تكفير هؤلاء الفرق أصحاب البدع العظمى ، ولكن الذي يقوى في النظر بحسب ما جاء في الأثر عدم القطع بتكفيرهم ، والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم ، ألا ترى إلى صنع علي رضي الله عنه في الخوارج ؟ وكونه عاملهم في قتالهم أهل الإسلام ، على مقتضى قول الله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات : ٩] فإنه لما اجتمعت الحرورية ، وفارقت الجماعة ، لم يهيجهم علي ولا قاتلهم ، ولو كانوا بخروجهم مرتدين لم يتركهم لقوله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » [2]

ولأن أبا بكر رضي الله عنه خرج لقتال أهل الردة ولم يتركهم ، فدل ذلك على اختلاف ما بين المسألتين .

وأيضًا حينما ظهر معبد الجهني وغيره من أهل القدر ، لم

(١) « الاعتصام » (٢/ ١٨٥، ١٨٦) .

(٢) رواه البخاري (١٢/ ٢٦٧) استتابة المرتدين وفي الجهاد ، ورواه الترمذي في الحدود ، وأبو داود في الحدود ، والنسائي في تحريم الدم ، وأحمد في المسند .

يكن من السلف الصالح لهم إلا الطرد والإبعاد والعداوة والهجران ، ولو كانوا خرجوا إلى كفر محض لأقاموا عليهم الحد المقام على المرتدين .

ومن الشواهد على أن هذه الفرق من الأمة [١] :

قوله ﷺ عن الخوارج : « **يخرج من أمتي قوم يَقْرَؤون القرآن ليس قراءتكم من قراءتهم بشيء ولا صلاتكم من صلاتهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم** » [٢] .

ومن الشواهد قوله ﷺ في حديث أبي هريرة وقد تقدم وفيه : « **وأنا فرطهم على الحوض ، فليذادن رجال عن حوضي كما يُزَادُ البعير الضال أناديهم : ألا هلم !! ألا هلم !! فيقال : قد بدلوا بعدك ، فأقول : فسحقًا فسحقًا فسحقًا** » [٣] .

(١) « الاعتصام » (٧/ ٢٠٤، ٢٠٥) بتصرف .

(٢) رواه مسلم (٧/ ١٦٩، ١٧٠) الزكاة : باب التحريض على قتل الخوارج وأبو داود في السنة : باب في قتل الخوارج .

(٣) تقدم تخريجه صـ ٢٧.

فوجه الدليل من الحديث أن قوله : « **فليذادن رجال عن حوضي** » إلى قوله : « **أناديهم ألا هلم** » مشعر بأنهم من أمته ، وأنه عرفهم . وقد بين أنه بالغُرر والتحجيل ، فدل على أن هؤلاء الذين دعاهم ـ وإن كانوا بدلوا ـ ذوو غرر وتحجيل ، وذلك من خاصية هذه الأمة ، فبان أنهم معدودون من الأمة ، ولو حكم لهم بالخروج من الأمة لم يعرفهم رسول الله ﷺ بغرة أو تحجيل لعدمه عندهم .

المسألة الثانية [1] :

إن هذه الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنًى كليّ في الدين ، وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات ، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا ، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية .

ويجري مجرى القاعدة الكلية ، كثرة الجزئيات ، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة ، عاد ذلك على كثير

(١) « الاعتصام » (٢/ ٢٠٠-٢٠١) باختصار .

من الشريعة بالمعارضة ، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضًا ، وأما الجزئي فبخلاف ذلك ، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة .

المسألة الثالثة [1] : في تعيين هذه الفرق :

وهي مسألة ـ كما قال الطرطوشي ـ طاشت فيها أحلام الخلق فكثير ممن تقدم وتأخر من العلماء عينوها ، لكن في الطوائف التي خالفت في مسائل العقائد ، فمنهم من عد أصولها ثمانية ، فقال كبار الفرق الإسلامية ثمانية : المعتزلة ، والشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، والنجارية ، والجبرية ، والمشبهة ، والناجية .

وقال جماعة من العلماء : أصول البدع أربعة ، وسائر الثنتين والسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا ، وهم الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة .

وقال يوسف بن أسباط : ثم تشعبت كل فرقة ثمان عشرة فرقة ، فتلك ثنتان وسبعون فرقة ، والثالثة والسبعون هي

---

(١) « الاعتصام » (٢٠٦ : ٢٣٠) باختصار .

الناجية ، وهذا التعديد بحسب ما أعطته المنة في تكلف المطابقة للحديث الصحيح ، لا على القطع بأنه المراد ، إذ ليس على ذلك دليل شرعي ، ولا دل العقل أيضًا على انحصار ما ذكر في تلك العدة من غير زيادة ولا نقصان ، كما أنه لا دليل على اختصاص تلك البدع بالعقائد .

المسألة الرابعة : (١)

أن قوله ﷺ : « **إلا واحدة** » قد أعطى بنصه أن الحق واحد لا يختلف ، إذ لو كان للحق فرق أيضًا لم يقل « **إلا واحدة** » ولأن الاختلاف منفى عن الشريعة بإطلاق ، لأنها الحاكمة بين المختلفين لقوله تعالى : ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ** ﴾ [النساء : ٥٩]

إذ رد التنازع إلى الشريعة فلو كانت الشريعة تقتضي الخلاف لم يكن في الرد فائدة ، وقال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

---

(١) « الاعتصام » (٢/ ٢٤٩) بتصرف .

وهو نص فيما نحن فيه فإن السبيل الواحد لا يقتضي الافتراق ، بخلاف السبل المختلفة .

المسألة الخامسة [1] :

أن النبي ﷺ لم يعين من الفرق إلا فرقة واحدة ، وإنما تعرض لعدها خاصة ، وأشار إلى الفرقة الناجية حين سُئل عنها ، وإنما وقع ذلك كذلك ولم يكن العكس لأمور :

أحدها : أن تعيين الفرقة الناجية هو الآكد في البيان بالنسبة إلى تعبد المكلف ، والأحق بالذكر ، إذ لا يلزم تعيين الفرق الباقية إذا عينت الواحدة ، وأيضًا فلو عينت الفرق كلها إلا هذه الفرقة لم يكن بد من بيانها لأن الكلام فيها يقتضي ترك أمور ، وهي بدع والترك لشيء لا يقتضي فعل شيء آخر لا ضدًا ولا خلافًا ، فذكر الواحدة هو المفيد على الإطلاق .

والثاني : أن ذلك أوجز ، لأنه إذا ذكرت نحلة الفرقة الناجية علم على البديهة أن ما سواها مما يخالفها ليس بناج ،

(١) « الاعتصام » (٢/ ٢٥١، ٢٥٢) .

وحصل التعيين بالاجتهاد .

والثالث : أن ذلك أحرى بالستر ، ولو فسرت لناقض ذلك قصد الستر ، ففسر ما يحتاج إليه ، وترك ما لا يحتاج إليه إلا من جهة المخالفة .

المسألة السادسة [(١)] :

أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **كلها في النار إلا واحدة** » وحتم ذلك ، وقد تقدم أنه لا يعد من الفرق إلا المخالف في أمر كلي وقاعدة عامة ، ولم ينتظم الحديث ـ على الخصوص ـ إلا أهل البدع المخالفين للقواعد وأما من ابتدع في الدين لكنه لم يبتدع ما ينقض أمرًا كليًا ، أو يخرم أصلًا من الشرع عامًا فلا دخول له في النص المذكور ، فينظر في حكمه هل يلتحق بمن ذكر أوْلا؟ ، والذي يظهر في المسألة أحد أمرين : إما أن نقول : إن الحديث لم يتعرض لتلك الواسطة بلفظ ولا معنى ، إلا أن ذلك يؤخذ من عموم الأدلة المتقدمة كقوله : « **كل بدعة ضلالة** » وما أشبه ذلك ، وإما أن نقول إن الحديث وإن لم يكن

---

(١) « الاعتصام » (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨) باختصار .

في لفظه دلالة ففي معناه ما يدل على قصده في الجملة ، وبيانه تعرض لذكر الطرفين الواضحين :

أحدهما : طرف السلامة والنجاة من غير داخلة شبهة ولا إلمام ببدعة ، وهو قوله : « **ما أنا عليه وأصحابي** » .

والثاني : طرف الإغراق في البدعة ، وهو الذي تكون منه البدعة كلية أو تخرم أصلًا كليًا ، جريًا على عادة الله في كتابه العزيز لأنه تعالى لما ذكر أهل الخير وأهل الشر ، ذكر كل فريق منهم بأعلى ما يحمل من خير أو شر ليبقى المؤمن فيها بين الطرفين خائفًا راجيًا ، إذ جعل التنبيه بالطرفين الواضحين ، فإن الخير على مراتب بعضها أعلى من بعض ، والشر على مراتب بعضها أشد من بعض ، فإذا ذكر أهل الخير الذين في أعلى الدرجات ، خاف أهل الخير الذين دونهم أن لا يلحقوا بهم ، أو رجوا أن يلحقوا بهم ، وإذا ذكر أهل الشر الذين في أشر المراتب ، خاف أهل الشر الذين دونهم أن يلحقوا بهم أو رجوا أن لا يلحقوا بهم .

المسألة السابعة [١] :

وهي في بيان معنى رواية أبي داود ، وهي قوله ﷺ : « **وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء ، كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرقًا ولا مفصلًا إلا دخله** » [٢] .

ومعنى هذه الرواية أنه ﷺ أخبر بما سيكون في أمته من هذه الأهواء التي افترقوا فيها إلى تلك الفرق ، وأنه يكون فيهم أقوام تداخل تلك الأهواء قلوبهم ، حتى لا يمكن في العادة انفصالها عنها وتوبتهم منها ، على حد ما يدخل داء الكلب جسم صاحبه فلا يبقي من ذلك الجسم جزء من أجزائه ولا مفصل ولا غيرهما إلا دخله ذلك الداء وهو جريان لا يقبل العلاج ولا ينفع فيه الدواء فكذلك صاحب الهوى ، إذا دخل قلبه وأشرب حبه ، لا تعمل فيه الموعظة ، ولا يقبل البرهان ، ولا يكترث بمن خالفه ، واعتبر ذلك بالمتقدمين من أهل

---

(١) الاعتصام (٢/ ٢٦٧ ، ٢٦٨) باختصار .

(٢) تقدم تخريجه .

الأهواء كمعبد الجهني وعمرو بن عبيد وسواهما ، فإنهم كانوا حيث لقوا ، مطرودين من كل جهة ، محجوبين عن كل لسان ، مبعدين عند كل مسلم ، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلا تماديًا في ضلالهم ، ومداومة على ما هم عليه ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [المائدة : ٤١] .

وإذا لم تبلغ البدعة بصاحبها هذه الدرجة ، فهو غير مشرب حبها في قلبه كالمثال في الحديث ، وكم من أهل بدعة لم يقوموا ببدعتهم قيام الخوارج وغيرهم ، بل استتروا بها جدًّا ، ولم يتعرضوا للدعاء إليها جهارًا كما فعل غيرهم ، ومنهم من يعد في العلماء والرواة وأهل العدالة بسبب عدم شهرتهم بما انتحلوه .

قال الشاطبي : فهذا الوجه يظهر أنه أولى الوجوه بالصواب .

فصل
في بيان أسباب الاختلاف

قال الشاطبي ما ملخصه [1] :

كل خلاف وقع فله أسباب ثلاثة قد تجتمع وتفترق :

أحدها : أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين - ولم يبلغ تلك الدرجة - فيعمل على ذلك ، ويعد رأيه رأيًا ، وخلافه خلافًا ، ولكن تارة يكون ذلك في جزئي وفرع من الفروع ، وتارة يكون في كلي وأصل من أصول الدين - كان من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العملية - فتراه آخذًا ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها حتى يصير منها ما ظهر له بادي رأيه من غير إحاطة بمعانيها ، ولا رسوخ في فهم مقاصدها ، وهذا هو المبتدع ، وعليه نبه الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم**

---

(١) « الاعتصام » (٢/ ١٧٢ : ١٨٢)

بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس - وفي رواية الترمذي : « **رؤوسًا** » - **رؤساء جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** » (١) .

قال بعض أهل العلم تقدير هذا الحديث يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم ، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم ، فيؤتى الناس من قبله ، وقد صرف هذا المعنى تصريفًا ، فقيل : « ما خان أمين قط ، ولكنه ائتمن غير أمين فخان » ، قال : « ونحن نقول ما ابتدع عالم قط ، ولكنه اسْتُفتي من ليس بعالم » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم ، فإذا أخذوا عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا .

واختلف العلماء في معنى **الأصاغر** :

فقال ابن المبارك : هم أهل البدع .

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٩٤) العلم : باب كيف يقبض العلم . وفي الاعتصام ، ومسلم (١٦/ ٢٣، ٢٤) العلم : باب رفع العلم ، والترمذي في العلم .

قال الشاطبي : وهو موافق لأن أهل البدع أصاغر في العلم ، ولأجل ذلك صاروا أهل بدع .

وقال الباجي : يحتمل أن يكون الأصاغر من لا علم عنده .

ثانيها : اتباع الهوى .

ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء ، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها ، حتى يصدروا عنها ، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك ، وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم ، ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم ، أو طلبًا للرياسة فلابد أن يميل مع الناس بهواهم .

وقد دل على ذم الهوى القرآن في قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

ولم يأت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم ، حكى ابن وهب عن طاووس أنه قال : ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه

وقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص : ٥٠] ، إلى غير ذلك من الآيات .

وحكى أيضًا عن عبد الرحمن بن مهدى أن رجلًا سأل إبراهيم النخعي عن الأهواء أيها خير ؟ فقال ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير ، وما هي إلا زينة الشيطان ، وما الأمر إلا الأمر الأول ، يعنى ما كان عليه السلف الصالح .

وعن الثوري أن رجلًا أتى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أنا على هواك ، فقال له ابن عباس : الهوى كله ضلالة أي شيء « أنا على هواك » .

ثالثها : التصميم على اتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق .

وهو اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ وأشباه ذلك وهو التقليد المذموم ، فإن الله ذم ذلك في كتابه كقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف : ٢٣] ، ثم قال : ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء : ٧٢-٧٣] .

فنبههم على وجه الدليل الواضح فاستمسكوا بمجرد تقليد الآباء ، فقالوا : ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٧٤] .

وهو مقتضى الحديث المتقدم أيضًا في قوله : « **اتخذ الناس رؤساء جهالًا** » ، فإنه يشير إلى الاستنان بالرجال كيف كان .

وروى عن علي بن أبي طالب ﷺ : إياكم والاستنان بالرجال فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة ، فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء . وقوله « فبالأموات » يعني الصحابة ، ومن جرى مجراهم ممن يؤخذ بقوله ويعتمد بفتواه .

وفي ذلك إشارة إلى الأخذ بالاحتياط في الدين ولذلك قيل لا تنظر إلى عمل العالم ولكن سله يصدقك .

ولا ينبغي لأحد أن يعتمد على عمل أحد البتة ، حتى يتثبت فيه ويسأل عن حكمه .

ثم قال ما ملخصه : [1]

هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد وهو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت ، أو الأخذ فيها بالنظر الأول ، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم ، ألم تر إلى الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم إلى الصيد المرمى ؟ لأن رسول الله ﷺ وصفهم بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، أي لا يفقهونه لأنه لا يصل إلى قلوبهم ، لأن الفهم راجع إلى القلب ، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال ، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف فقط ، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم ، وما تقدم أيضًا من قوله ﷺ : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا** » إلى آخره ومما يوضح ذلك ما أخرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعًا كيف رأى ابن عمر

(١) « الاعتصام » (٢/ ١٨٢ : ١٨٤)

في الحرورية [1] ؟ قال يراهم شرار خلق الله ، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين .

وقال نافع : إن ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال : يكفرون المسلمين ، ويستحلون دماءهم وأموالهم ، وينكحون النساء في عِدَدِهِنَّ ، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج ، فلا أعلم أحدًا أحق بالقتال منهم .

(١) الحرورية : هم الخوارج وسموا بذلك لأنهم نزلوا بمكان يسمى حروراء .

فصل
في بيان الفرقة الناجية والطائفة الظاهرة

قوله ﷺ في وصف الفرقة الناجية : « **وهي الجماعة** » يحتاج إلى تفسير حتى نعرف مراد النبيِّ ﷺ ، فقد اختلف الناس في الجماعة المرادة على خمسة أقوال [(١)] .

أحدها : أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام ، وهو الذي يدل عليه كلام أبي غالب أن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق .

وسئل أبو مسعود الأنصاري عن الفتنة ؟ فقال : عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة ، واصبر حتى تستريح أو يستراح من فاجر .

والثاني : أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين ، فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية ، لأن جماعة الله العلماء ، جعلهم الله حجة على العالمين ، وهم المعنيون بقوله ﷺ :

---

(١) « الاعتصام » (٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢) بتصرف .

« **إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة** »[1] .

فمعنى « **لن يجمع أمتي** » لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة .

وهذا قول عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهوية وجماعة من السلف وهو رأى الأصوليين ، وقيل لعبد الله بن المبارك من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدى بهم ؟ قال أبو بكر وعمر — فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد — فقيل : هؤلاء ماتوا . فَمِنَ الأحياء ؟ قال أبو حمزة السكري .

والثالث : أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص ، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين ، وأرسوا أوتاده ، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلًا ، وقد يمكن فيمن سواهم .

روى ابن وهب عن مالك قال كان عمر بن عبد العزيز يقول : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ، ولا النظر فيما خالفها ،

(١) رواه الترمذي (٩/ ١١) وقال : غريب من هذا الوجه .

من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ، ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا . قال مالك : فأعجبني عزم عمر على ذلك .

والرابع : أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر ، فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم ، وهم الذين ضمن الله لنبيه ﷺ أن لا يجمعهم على ضلالة ، فإن وقع بينهم اختلاف ، فواجب تَعَرُّفِ الصواب فيما اختلفوا فيه .

قال الشافعي : الجماعة لا تكون فيها غفلة عن معنى كتاب الله ، ولا سنة ولا قياس ، وإنما تكون الغفلة في الفرقة .

والخامس : ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، فأمر ﷺ بلزومه — وقد قال ﷺ :« **من جاء إلي أمتي ليفرق جماعتهم فاضربوا عنقه كائنًا من كان** » ، فهذا معنى الأمر بلزوم الجماعة .

والتحقيق في المسألة :

أن الجميع اتفقوا على اعتبار : أهل العلم والاجتهاد ،

سواء أَضَمُّوا إليهم العوام أم لا ، فإن لم يُضَمُّوا إليهم فلا إشكال ، لأن الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم ، فمن شذ عنهم فمات فميتته جاهلية ، وإن ضموا إليهم العوام فبحكم التبع ، لأنهم غير عارفين بالشريعة .

قال إسحاق : لو سألت الجهال عن السواد الأعظم ، لقالوا : جماعة الناس . ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه ، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة . اهـ

ولعل الرواية الأخرى للحديث أوضح بيان للجماعة وهي قوله ﷺ : « **ما أنا عليه وأصحابي** » .

والمقصود من كان على مثل جماعة الصحابة رضي الله عنهم ، وذلك قبل ظهور البدع والاختلاف .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة ، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم ، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالعهد الأول » ، وابن مسعود رضي الله عنه قال هذا في زمن الخلفاء الراشدين .

وروى ابن حميد عن مالك قال : لم يكن شيء من هذه

الأهواء في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، وإنما ظهرت البدع وافترقت الأمة في آخر عصر الصحابة رضي الله عنهم .

فالمقصود بالفرقة الناجية من كانت على شاكلة الجماعة الأولى ، قبل أن تظهر فيها الأهواء والبدع .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : الجماعة ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك . وفي رواية : إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل .

قال أبو شامة في كتاب « الحوادث والبدع » حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة ، فالمراد به الحق وأتباعه ، وإن كان المتمسك به قليلًا ، والمخالف له كثيرًا ، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ولا نظر إلى كثرة أهل البدع .

وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد ، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ . ذكره البيهقي وغيره .

وقال ابن القيم ما ملخصه [1] :

وقد جعل بعض الناس السنة بدعة ، والمعروف منكرًا ، لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار . وقالوا : « ومن شذ شذ الله به في النار » وما عرفوا أن الشاذ من خالف الحق ، فإن كان الناس كلهم إلا واحدًا خالفوا الحق فهم الشاذون ، وذلك الواحد هو الجماعة .

وقد شذ الناس في زمن الإمام أحمد بن حنبل إلا نفرًا قليلًا ، فكان ذلك النفر هم الجماعة ، وكان القضاة والمفتون والخليفة وأتباعهم هم الشاذين ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ، ولما لم تتحمل هذا عقول الناس كلهم ، قالوا للخليفة : يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق ؟ فلم يتسع علمه لذلك ، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل ، ثم ظهر الحق وأهله وبطل ما كانوا يدعون . اهـ

(١) « إعلام الموقعين » (٣/ ٣٩٧، ٣٩٨) مكتبة الكليات الأزهرية .

ومما يؤيد ما ذكرناه من أن الفرقة الناجية من كان على شاكلة الجماعة الأولى قبل أن تظهر فيها الأهواء والبدع قوله ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** » [1] .

فهذه الطائفة الظاهرة لا شك أنها الفرقة الناجية المتمسكة بما كان عليه الصدر الأول من هذه الأمة .

قال في معارج القبول [2] :

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الفرقة الناجية هم من كانوا على مثل ما كان عليه هو وأصحابه ، وليس أحد من هؤلاء كذلك بل إنهم قد ضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ، وذلك لأنه لا يعرف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه إلا من طريق سنته المروية ، وآثاره المصطفوية ، التي هي الشريعة الغراء والمحجة البيضاء ، وهؤلاء من أبعد الناس عنها ، وأنفرهم منها .

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٢٩٣) .

(٢) « معارج القبول » لحافظ أحمد بن حكمي (١/ ١٩) طبعة المكتبة السلفية .

وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظها ، المنقادين لها ، المتمسكين بها ، الذابين عنها ، يقفون عندها ، ويسيرون بسيرها لا ينحرفون عنها يمينًا ولا شمالًا ، ولا يقدمون عليها لأحد مقالًا ، ولا يبالون من خالفهم ولا من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى . أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة ، وجيش دولتها ، المرابطين على ثغورها ، الحافظين حدودها الحامين حوزتها ، وفقهم الله للاستضاءة بنورها ، والاهتداء بهديها القويم ، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، فآمنوا بما أخبر الله به في كتابه ، وأخبر به عبده ورسوله محمد ﷺ في سنته وتلقوه بالقبول والتسليم ، إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل ، وتنزيهًا بلا تحريف ولا تعطيل ، فهم الوسط في فرق هذه الأمة ، كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم .

وأولى الناس بوصف الطائفة الظاهرة على الحق المنصورة إلى قيام الساعة هم أهل العلم وأصحاب الحديث وبذلك فسر سلف الأمة قوله ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على**

الحق » ، قال عبد الله بن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث .

وقال محمد بن إسماعيل البخاري : هم أصحاب الحديث .

وصحح الحافظ ابن حجر عن الإمام أحمد أنه سئل عن معنى هذا الحديث فقال : إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث ، فلا أدرى من هم ؟

وروى الخطيب عن أبي حاتم قال سمعت أحمد بن سنان وذكر الحديث « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق** » فقال : هم أهل العلم وأصحاب الآثار .

قال الألباني رحمه الله [١] :

وقد يستغرب بعض الناس تفسير هؤلاء الأئمة للطائفة الظاهرة والفرقة الناجية بأنهم أهل الحديث ، ولا غرابة في ذلك إذا تذكرنا ما يأتي :

أولًا : أن أهل الحديث هم بحكم اختصاصهم في دراسة السنة ، وما يتعلق بها من معرفة تراجم الرواة وعلل الحديث

---

(١) الصحيحة (١/ ٢-١٦٦) في شرح الحديث رقم ٢٧٠ .

وطرقه ، أعلم الناس قاطبة بسنته ﷺ وهديه وأخلاقه وغزواته وما يتصل به .

ثانيًا : أن الأمة انقسمت إلى فرق ومذاهب ، لم تكن في القرن الأول ، ولكل مذهب أصوله وفروعه وأحاديثه يستفاد التي يستدل بها ويعتمد عليها ، وأن المتمذهب بواحد منها يتعصب له ويتمسك بكل ما فيه ، دون أن يلتفت إلى المذاهب الأخرى ، وينظر لعله يجد فيها من الأحاديث ما لايجده في مذهبه الذي قلده ، فإن من الثابت لدى أهل العلم ، أن في كل مذهب من السنة والأحاديث ما لايوجد في المذهب الآخر ، فالمتمسك بالمذهب الواحد يضل ولا بد عن قسم عظيم من السنة المحفوظة لدى المذاهب الأخرى وليس على هذا أهل الحديث فإنهم يأخذون بكل حديث صح بإسناده في أي مذهب كان ، ومن أي طائفة كان راويه مادام أنه مسلم ثقة ، حتى لو كان شيعيًّا أو قدريًّا أو خارجيًّا ، فضلًا عن أن يكون حنفيًّا أو مالكيًا أو غير ذلك ، وقد صرح بهذا الإمام الشافعي رضي الله عنه حين خاطب الإمام أحمد بقوله : « أنتم أعلم بالحديث

مني ، فإذا جاءكم الحديث صحيحًا فأخبرني به حتى أذهب إليه سواء كان حجازيًّا أو كوفيًّا أو مصريًّا » فأهل الحديث - حشرنا الله معهم - لا يتعصبون لقول شخص معين مهما علا وسما حاشا محمدًا ﷺ ، بخلاف غيرهم ممن لا ينتمي إلى الحديث والعمل به ، فإنهم يتعصبون لأقوال أئمتهم ، وقد نهوهم عن ذلك ، كما يتعصب أهل الحديث لأقوال نبيهم ، فلا عجب بعد هذا البيان أن يكون أهل الحديث هم الطائفة الظاهرة ، والفرقة الناجية ، بل والأمة الوسط ، الشهداء على الخلق .

ثم نقل الألباني رحمه الله عن الخطيب البغدادي ما ملخصه [1] :

« وقد جعل الله أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله في خليقته ، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته ، والمجتهدون في حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه ،

---

(١) من مقدمة كتاب « شرف أصحاب الحديث » .

وتستحسن رأيًا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث ، فإن الكتاب عدتهم ، والسنة حجتهم ، والرسول فئتهم ، وإليه نسبتهم ، لا يعرجون على الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء يقبل منهم ما رووا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه العدول ، حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته ، إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول المسموع .

منهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد في قبيلة ، ومخصوص بفضيلة ، وقارئ متقن ، وخطيب محسن ، وهم الجمهور العظيم ، وسبيلهم السبيل المستقيم ، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر ، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر ، من كادهم قصمه الله ، ومن عاندهم خذله الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا يفلح من اعتزلهم ، المحتاط لدينه إلي إرشادهم فقير ، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير ، وإن الله على نصرهم لقدير .

فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين ، وصرف عنهم كيد الكائدين ، لتمسكهم بالشرع المتين ، واقتفائهم آثار

الصحابة والتابعين ، فشأنهم حفظ الآثار ، وقطع المفاوز والقفار ، وركوب البراري والبحار ، في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى ، لا يعرجون منه إلي رأي ولا هوى ، قبلوا شريعته قولًا وفعلًا ، وحرسوا سنته حفظًا ونقلًا ، حتى ثبتوا بذلك أصلها ، وكانوا أحق بها وأهلها . وكم من ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها . والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها ، فهم الحفاظ لأركانها ، والقوامون بأمرها وشأنها . إذا صدف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] » اهـ .

فائدة : جاء في مناقب الإمام أحمد « ص ٣١١ » لابن الجوزي رحمه الله [(١)] : « قيل للإمام أحمد بن حنبل أيام المحنة ـ أي أيام ظهور المعتزلة على أهل السنة ، ودعوتهم الناس بسلطان الدولة إلى القول بخلق القرآن ـ يا أبا عبد الله : ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل . فقال : كلا ، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل

(١) نقلًا عن رسالة « المسترشدين » للمحاسبي ؛ بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة (هامش ٨٤) دار السلام .

القلوب من الهدى إلى الضلالة ، وقلوبنا بعد لازمة للحق »

ونختم هذا الفصل بشهادة عظيمة لأهل السنة من عالم من كبار علماء الحنفية في الهند وهو أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي [١٢٦٤-١٣٠٤هـ] .

قال رحمه الله [1] : « ومن نظر بنظر الإنصاف ، وغاص في بحار الفقه والأصول متجنبًا الاعتساف ، يعلم علمًا يقينًا أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها ، فمذهب المحدثين فيها أقوى من مذاهب غيرهم ، وإني كلما أسير في شعب الاختلاف أجد قول المحدثين فيه قريبًا من الإنصاف ، فلله درهم ، وعليه شكرهم (كذا) كيف لا وهم ورثة النبي ﷺ حقًا ، ونواب شرعه صدقًا ، حشرنا الله في زمرتهم وأماتنا على حبهم وسيرتهم » . آمين

(١) نقلًا عن السلسة الصحيحة (١/٢/١١٩، ١٢٠) .

فصل
في ذم الرأي

قال الشاطبي رحمه الله [1] :

أعظم تلك الفرق فتنة على الأمة أهل القياس ، ولا كل قياس ، بل القياس على غير أصل ، فإن أهل القياس متفقون على أن القياس على غير أصل لا يصح ، وإنما يكون على أصل من كتاب أو سنة صحيحة أو إجماع معتبر ، فإذا لم يكن للقياس أصل ـ وهو القياس الفاسد ـ فهو الذي لا يصح أن يوضع في الدين ، فإنه يؤدى إلى مخالفة الشرع وأن يصير الحلال بالشرع حرامًا بذلك القياس ، والحرام حلالًا فإن الرأي من حيث هو رأى لا ينضبط إلي قانون شرعي إذا لم يكن له أصل شرعي ، فإن العقول تستحسن ما لا يستحسن شرعًا ، وتستقبح ما لا يسستقبح شرعًا . وإذا كان كذلك كان القياس على غير أصل فتنة . اهـ

(١) الاعتصام (٢/ ٢٨٢، ٢٨٣) بتصرف واختصار .

وقال في موضع آخر [١] :

ومعلوم أن هذه الآثار الذامة للرأي ، لا يمكن أن يكون المقصود بها ذم الاجتهاد على الأصول في نازلة لم توجد في كتاب ولا سنة ولا إجماع ممن يعرف الأشباه والنظائر ، ويفهم معاني الأحكام فيقيس قياس تشبيه وتعليل ، قياسًا لم يعارضه ما هو أولى منه ، فإن هذا ليس فيه تحليل وتحريم ولا العكس ، وإنما القياس الهادم للإسلام ، المعارض للكتاب والسنة ، أو ما عليه سلف الأمة أو معانيها المعتبرة . اهـ

عن سهل بن حنيف قال : « يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم ، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته » [٢] ، رواه البخاري وبوب عليه : « ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس » .

قال الحافظ رحمه الله [٣] : قوله : « اتهموا رأيكم على دينكم »

(١) الاعتصام (٢/ ٢٨٥) بتصرف واختصار .
(٢) رواه البخاري (١٣/ ٢٨٢) الاعتصام بالكتاب والسنة .
(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٨٨، ٢٨٩) .

أي لا تعملوا في أمر الدين بالرأي المجرد الذي لا يستند إلى أصل من الدين ، وهو كنحو قول علي فيما أخرجه أبو داود بسند حسن « لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى من أعلاه » وقد جاء عن عمر نحو قول سهل ولفظه « اتقوا الرأي في دينكم » أخرجه البيهقي في المدخل هكذا مختصرًا ، وأخرجه هو والطبري والطبراني مطولًا بلفظ « اتهموا الرأي على الدين ، فقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي واجتهادي . فوالله ما آلو عن الحق » وذلك يوم أبي جندل حتى قال لي رسول الله ﷺ : « **تراني أرضى وتأبى** » والحاصل أن المصير إلى الرأي إنما يكون عند فقد النص ، وإلى هذا يومئ قول الشافعي فيما أخرجه البيهقي بسند صحيح إلى أحمد بن حنبل سمعت الشافعي يقول : القياس عند الضرورة ، ومع ذلك فليس العامل برأيه على ثقة من أنه وقع على المراد من الحكم في نفس الأمر ، وإنما عليه بذل الوسع في الاجتهاد ليؤجر ولو أخطأ وبالله التوفيق .

وأخرج البيهقي من طريق الشعبي عن عمرو بن حريث عن عمر قال : « إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن

أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا »
فظاهر في أنه أراد ذم من قال بالرأي مع وجود النص من الحديث لإغفاله التنقيب عليه ، وأولى منه باللوم من عرف النص وعمل بما عارضه من الرأي ، وتكلف لرده بالتأويل ، وإلى ذلك الإشارة بقوله في الترجمة وتكلف القياس والله أعلم .

قال أبو عمر بن عبد البر بعد أن ساق الآثار في ذم الرأي ما ملخصه [1] : اختلف العلماء في الرأي المقصود إليه بالذم فقالت طائفة : الرأي المذموم هو البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد كرأي جهم وسائر مذاهب أهل الكلام ، لأنهم قوم قياسهم وآراؤهم في رد الأحاديث ، فقالوا : لا يجوز أن يُرى الله ﷻ في القيامة ، لأنه ﷻ يقول : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

فردوا قول رسول الله ﷺ : « **إنكم ترون ربكم يوم القيامة** » [2] ، وتأولوا في قول الله ﷻ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

---

(١) جامع بيان العلم (٤٨٢ : ٤٩٤) باختصار وتصرف الطبعة الثانية – المطبعة الفنية .
(٢) رواه البخاري (٢/ ٣٣) ، ومسلم في الإيمان بمعناه ، والنسائي .

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] . تأويلًا لا يعرفه أهل اللسان ولا أهل الأثر وقالوا لا يجوز أن يُسأل الميت في قبره لقول الله ﷻ : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر : ١١] ، فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته ، وردوا الأحاديث في الشفاعة على تواترها ، وقالوا : لن يخرج من النار من دخل فيها وقالوا لا نعرف حوضًا ولا ميزانًا ولا نعقل ما هذا ، وردوا السنن في ذلك برأيهم وقياسهم إلي أشياء يطول ذكرها من كلامهم في صفات الباري تبارك وتعالى .

وقال جماعة من أهل العلم : إنما الرأي المذموم المعيب المهجور الذي لا يحل النظر فيه ولا الاشتغال به الرأي المبتدع وشبهه من ضروب البدع .

وروى بسنده عن الإمام أحمد قال : لا نكاد نرى أحدًا نظر في هذا الرأي إلا وفي قلبه دغل .

وقال آخرون ـ وهم جمهور أهل العلم ـ : الرأي المذموم المذكور في هذه الآثار عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون

والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات ، ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياسًا دون ردها على أصولها ، والنظر في عللها واعتبارها ، فاستعمل فيها الرأي قبل أن تنزل وفرعت وشققت قبل أن تقع وتكلم فيها قبل أن تكون بالرأي المضارع للظن ، قالوا : ففي الاشتغال بهذا والاستغراق فيه تعطيل للسنن والبعث على جهلها ، وترك الوقوف على ما يلزم الوقوف عليها منها ، ومن كتاب الله ﷻ ومعانيه واحتجوا على صحة ما ذهبوا إليه من ذلك بأشياء منها :-

عن ابن عمر قال : لا تسألوا عن ما لم يكن فإني سمعت عمر يلعن من سأل عن ما لم يكن .

ومنها عن سهل بن سعد قال : كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها [1] .

---

(١) رواه البخاري (٩/ ٣٢١) ، ومسلم (١٠/ ١٢٠) ، وأبو داود ، والنسائي .

ومنها ما ورد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **ذروني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم** » [١] .

قالوا : ومن تدبر الآثار المروية المرفوعة في ذم الرأي ، وآثار الصحابة والتابعين في ذلك علم أنه ما ذكرنا .

قالوا : أما ترى أنهم كانوا يكرهون الجواب في مسائل الأحكام ما لم تقع ؟، فكيف بوضع الاستحسان والظن والتكلف ونظير ذلك واتخاذه دينًا؟ .

عن مسروق قال : سألت أبي بن كعب عن مسألة ، فقال : أكانت هذه بعد ؟ قلت لا . قال : فأجمني [٢] حتى تكون .

وذكر ابن وهب وعتيق أنهما سمعا مالك بن أنس يقول : لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدًا أقتدِي به يقول في شيء هذا حلال وهذا حرام ، ما كانوا

---

(١) رواه مسلم (١٠/ ١٠١) ، والنسائي (٥/ ١١٠ ، ١١١) .
(٢) أي : أنظرني .

يجترؤن على ذلك وإنما كانوا يقولون نكره هذا ونرى هذا حسنًا ، ونتقي هذا ولا نرى هذا . وزاد عتيق بن يعقوب ولا يقولون حلال وحرام أما سمعت قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٥٩] . الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله .

وقد روى عن مالك أنه قال في بعض ما كان ينزل فيسئل عنه فيجتهد فيه رأيه ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [الجاثية : ٣٢] .

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث قال :

وما كل الظنون تكون حقًا

ولا كل الصواب على القياسِ

قال أبو عمر بن عبد البر [١] :

ليس لأحد من علماء الأمة يثبت حديثًا عن النبي ﷺ لم يرده دون إدعاء نسخ عليه بأثر مثله أو إجماع أو بعمل يجب

---

(١) « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (٣٩٧) .

على أصله الانقياد إليه أو طعن في سنده ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته فضلًا عن أن يتخذ إمامًا ولزمه اسم الفسق .

وقال بعضهم :

تجنَّبْ رُكوبَ الرأيِ فالرأيُ ريبةٌ
عليك بآثارِ النبيِّ محمدِ

فَمنْ يَرْكَبِ الآراءَ يعْمَ عنِ الهُدَى
ومنْ يتْبَعِ الآثارَ يُهْدَ ويُحْمَدِ

وقال آخر :

انظرْ بعينِ الهُدَى إن كنتَ ذا نظر
فإنما العلمُ مبنيٌّ على الأَثَرِ

لا تَرْضَ غيرَ رسولِ اللهِ مُتَّبَعًا
ما دمتَ تقدِرُ في حُكْمٍ على خَبَرِ

فصل
في علامات أهل البدع

لأهل البدع علامات إجمالية وعلامات تفصيلية ، أي تخص كل بدعة ونحن نشير بإذن الله تعالى إلى العلامات الإجمالية لأن ذكرها في الجملة يفيد الأمة الخوف من الوقوع فيها .

– فمن العلامات الإجمالية ما ذكره ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل :

ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله ﷺ التي تخالف قواعدهم الباطلة ، وعقائدهم الفاسدة ، كما ردوا أحاديث الرؤية ، وأحاديث علو الله على خلقه ، وأحاديث صفاته القائمة به ، وأحاديث الشفاعة ، وأحاديث نزوله إلي السماء الدنيا ، ونزوله إلي الأرض للفصل بين عباده ، وأحاديث تكلمه بالوحي كلامًا يسمعه من شاء من خلقه حقيقة ، إلى أمثال ذلك ، وكما ردت الخوارج

والمعتزلة أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ، وكما ردت المعطلة أحاديث الصفات والأفعال الاختيارية ، وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القدر السابق ، وكل من أصل أصلًا لم يؤصله الله ورسوله قاده قسرًا إلي رد السنة وتحريفها عن مواضعها ، فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلًا غير ما جاء به الرسول ﷺ ، فهذا أصلهم الذي عليه يعولون ، وجنتهم التي إليها يرجعون .

– ومن علاماتهم : اتباع المتشابه من القرآن ، والإعراض عن المحكم .

قال الله ﷻ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] .

قال الشاطبي رحمه الله : ومعنى المتشابه ما أشكل معناه ولم يبين مغزاه سواء كان من المتشابه الحقيقي – كالمجمل من الألفاظ – أو من المتشابه الإضافي ، وهو ما يحتاج في بيان معناه الحقيقي إلي دليل خارجي .

وإن كان في نفسه ظاهر المعنى لبادي الرأي ، كاستشهاد

الخوارج على إبطال التحكيم بقوله : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٦٧] . فإن ظاهر الآية صحيح على الجملة ، وأما على التفصيل فيحتاج إلى البيان ، وهو ما تقدم ذكره لابن عباس رضي الله عنهما ، لأنه بين أن الحكم لله تارة بغير تحكيم ، لأنه إذا أمرنا بالتحكيم فالحكم به حكم الله .

– ومن علاماتهم : اتباع الهوى كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٠] .

وقوله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

وأصل الفرق إنما هو الجهل بمواقع السنة وهو الذي نبه عليه الحديث : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** » [1] .

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٦ .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ والزيغ هو الميل عن الحق اتباعًا للهوى .

– ومن علاماتهم [١] : الفرقة التي نبه الله عليها بقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] ، وهذا التفريق هو الذي يصير الفرقة الواحدة فرقًا ، والشيعة الواحدة شيعًا .

قال العلماء : صاروا فرقًا لاتباع أهوائهم ، وبمفارقة الدين تَشَتَّتَتْ أهواؤهم فافترقوا ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ثم برأه منهم بقوله : ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ وهم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله .

وقد اختلف أصحاب الرسول ﷺ في بعض أحكام الدين ولم يتفرقوا ولا صاروا شيعًا ، لأنهم لم يفارقوا الدين ، وإنما اختلفوا في الاجتهاد والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصًا ، واختلفت في ذلك أقوالهم فصاروا محمودين ،

---

(١) باختصار من الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣) .

لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به ، كاختلاف أبي بكر وعمر وعلى وزيد في الجد مع الأم ، وقول عمر وعليّ في أمهات الأولاد ، وخلافهم في الفريضة المشتركة ، وخلافهم في الطلاق قبل النكاح ، وفي البيوع وغير ذلك ، وكانوا مع ذلك أهل مودة وتناصح وكانت وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة ، فلما حدثت الأهواء المردية التي حذر منها رسول الله ﷺ ، وظهرت العداوات وتحزب أهلها فصاروا شيعًا دل على أنه إنما حدث ذلك بسبب المسائل المحدثة التي ألقاها الشيطان على أفواه أوليائه ، والإسلام يدعو إلي الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف ، فكل رأى أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين ؛ وكانت هذه العلامة ظاهرة في الخوارج الذين أخبر النبي ﷺ عنهم بقوله : « **يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان** » وأي فرقة توازى هذه الفرقة التي بين أهل الإسلام وأهل الكفر ؟ وهي موجودة في كل مَنْ عرف من الفرق ، أو ادعى ذلك فيهم .

– **ومن علاماتهم : كثرة الجدال** ، فهم لا يقصدون اتباع الحق والجدال على هذا الوجه لا ينقطع ، وشأن هذا الجدال أنه

شاغل عن ذكر الله وعن الصلاة كالنرد والشطرنج وغيرهما .

وقد نقل عن حماد بن زيد أنه قال : جلس عمرو بن عبيد وشبيب بن شيبة ليلة يتخاصمان إلي طلوع الفجر ، قال : فلما صلوا جعل عمرو يقول : هيه أبا معمر ، هيه أبا معمر ، فإذا رأيتم أحدًا شأنه أبدًا الجدال في المسائل مع كل أحد من أهل العلم ، ثم لا يرجع ولا يرعوي ، فاعلموا أنه زائغ القلب ، متبع للمتشابه فاحذروه .

– ومن علاماتهم : تعظيم أئمة الإتحاد والزندقة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1] : تجد عامة أهل الكلام ومن أعرض عن جادة السلف ـ إلا من عصم الله ـ يعظمون أئمة الاتحاد ، بعد تصريحهم في كتبهم بعبارات الاتحاد ، ويتكلفون لها محامل غير ما قصدوه ، ولهم في قلوبهم من الإجلال والتعظيم ، والشهادة بالإمامة والولاية لهم ، وأنهم أهل الحقائق ما الله به عليم .

هذا ابن عربي يصرح في نصوصه أن الولاية العظمى

(١) نقض المنطق (١٤٠ ، ١٤١) .

أعظم من النبوة بل أكمل من الرسالة ومن كلامه :

مقـــامُ النبُـــوّةِ في بـــرزخٍ
فُوَيْـــقَ الرســـولِ ودونَ الـــوَليّ

وبعض أصحابه يتأولون ذلك ، بأن ولاية النبي أفضل من نبوته ، وكذلك ولاية الرسول أفضل من رسالته ، أو يجعلون ولايته حاله مع الله ، ورسالته حاله مع الخلق ، وهذا من بليغ الجهل ، فإن الرسول إذا خاطب الخلق وبلغهم الرسالة لم يفارق الولاية ، بل هو ولى الله في تلك الحال كما هو ولى الله في سائر أحواله ، فإنه ولي الله ليس عدوًا له في شيء من أحواله ، وليس حاله في تبليغ الرسالة دون حاله إذا صلى ودعا الله وناجاه .

– **ومن علاماتهم : ذمهم من مدحه الله ورسوله ، واتفق السلف الصالح على مدحه والثناء عليه** وأصل هذه العلامة من الاعتبار تكفير الخوارج ـ الصحابة الكرام رضي الله عنهم ـ واعتقاد الشيعة ردة الصحابة رضي الله عنهم إلا ستة .

وروى عن إسماعيل بن علية ، قال حدثني اليسع ، قال

تكلم واصل بن عطاء يومًا ـ يعنى المعتزلي ـ فقال عمرو بن عبيد ألا تسمعون ؟ ما كلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقة حيض ملقاة .

– ومن علاماتهم : ما ذكره شيخ الإسلام [1] : أنهم أعظم شكًا واضطرابًا وأضعف الناس علمًا ويقينًا ، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ، ويشهده الناس منهم ، وشواهد ذلك أعظم من أن تذكر هنا ، وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض والقدح والجدل ، ومن المعلوم أن الاعتراض والقدح ليس بعلم ، ولا فيه منفعة ، وأحسن أحوال صاحبه أن يكون بمنزلة العامي ، وما زال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدى في طريقهم حتى قال أبو حامد الغزالي : « أكثر الناس شكًا عند الموت أهل الكلام » .

وهذا أبو عبد الله الرازي من أعظم الناس في هذا الباب ـ باب الحيرة والشك والاضطراب ـ وقال أبو واصل وكان من أبرعهم في الفلسفة والكلام : « أستلقي على قفاي وأضع

(١) نقض المنطق (٢٥) .

الملحفة على نصف وجهي ، ثم أذكر المقالات وحجج هؤلاء وهؤلاء ، واعتراض هؤلاء وهؤلاء ، حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء » ولهذا أنشد الخطابي وهو صاحب المعالم :

حُجَجٌ تَهَافَتُ كالزُّجاجِ تَخالُها
حَقًّا وكلٌّ كاسِرٌ مكْسُورُ

وقال في مجموع الفتاوى [(١)] :

وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك ، إما عند الموت وإما قبل الموت .

هذا أبو الحسن الأشعري نشأ في الاعتزال أربعين عامًا يناظر عليه ثم رجع عن ذلك وصرح بتضليل المعتزلة ، وبالغ في الرد عليهم .

وهذا أبو حامد الغزالي (مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف ينتهي في هذه المسائل إلي الوقوف والحيرة ، ويحيل في آخر أمره

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٧٢، ٧٣) باختصار .

على طريقة أهل الكشف ، وإن كان بعد ذلك رجع إلي طريقة أهل الحديث) وصنف « إلجام العوام عن علم الكلام » .

وكذا أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي قال في كتابه الذي صنفه في « أقسام اللذات » : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلًا ، ولا تروي غليلًا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] . واقرأ في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] . ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] . ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

ثم قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وكان يتمثل كثيرًا .

نهايـــةُ إقـــدامِ العُقـــولِ عقـــالُ
وأكثـرُ سـعيِ العـالمينَ ضَـلالُ
وأرواحُنـا في وَحْشَـةٍ مِـن جُسُـومِنا
وحاصِـلُ دنيانـا أذًى وَوَبـالُ

ولم نَسْتَفِدْ مِن بَحثِنا طولَ عُمْرِنا
سِوى أنْ جَمَعْنا فيه قيلَ وقالوا

وهذا إمام الحرمين ترك ما كان ينتحله ويقرره ، واختار مذهب السلف ، وكان يقول : « يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به » ، وقال عند موته : « لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت فيما نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني ، وها أنذا أموت على عقيدة أمي ـ أو قال : عقيدة عجائز نيسابور ـ » .

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، أخبر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم ، وكان ينشد :

لَعَمْري لقدْ طُفْتُ المعاهِدَ كلَّها
وسَيَّرْتُ طَرفِي بين تِلكَ المعالِمِ
فلم أرَ إلا واضِعًا كفَّ حائرٍ
على ذَقَنٍ أو قارِعًا سِنَّ نادِمِ

فصل
في خصائص الفرقة الناجية
« أهل السنة والجماعة »

من خصائص الفرقة الناجية « أهل السنة والجماعة » ، أنهم يبدؤون بالشرع ثم يخضعون العقل له ، عملًا بقول الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات : ١] .

ومن ثم فإنهم يقدمون الرواية على الدراية ، والنص الشرعي على النظر العقلي ، وذلك لاعتقادهم بأنه لا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ، ويعتقدون بأن الأوائل الذين عاصروا التنزيل واكتحلت أعينهم برؤية النبي ﷺ ، كانوا أكثر فهمًا ودراية للشرع من غيرهم ، فالمعقول عندهم ما وافق هديهم ، والمجهول ما خالفه .

وهناك دليل منطقي على ضرورة تقديم الشرع على العقل [1] : إذا حدث نزاع بين أصحاب المهن المختلفة كالحراثة والبناء

---

(١) قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي نقلًا عن « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » لابن تيمية رحمه الله بتصرف (١/ ٨٢) .

والخياطة والسباحة وغير ذلك من الصناعات ، احتكم المتنازعون إلي الأعلم منهم ، ومن المعلوم أن تفوق الرسول ﷺ على ذوي العقول ، أعظم من تفوق أهل العلم المتخصصين بالمهن العلمية والعملية والعلوم العقلية الاجتهادية كالطب مثلًا لسائر الناس ، لأن من الناس من يمكنه تعلم تلك المهن العملية والعلمية كعلم المتخصصين فيها ولكن لا يمكن من لم يجعله الله رسولًا إلي الناس أن يصير بمنزلة من جعله الله رسولًا إلى الناس .

فإذا تقرر أن النبوة لا تنال بالاجتهاد - كما هو مذهب أهل الملل - وعلم الرجل بالعقل أن هذا رسول الله وعلم أنه أخبر بشيء ووجد في عقله ما يعارضه في خبره ، كان عقله يوجب عليه التسليم إلي من هو أعلم منه ، ولا يقدم رأيه على قوله ؛ لعلمه أن عقله قاصر بالمقارنة به ، وأنه أعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته واليوم الآخر منه ، وأن التفاوت الذي بينهما في العلم بذلك أعظم من التفاوت الذي بين العامة والأطباء .

- **ومن خصائصهم أنهم ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله ويدعون ما خالفه إلا رسول الله ﷺ** ، بل كل

إمام دونه من أئمة المسلمين ـ كما قال مالك رحمه الله ـ : « يؤخذ من قوله ويترك » ، وكل كلام عارض عندهم الكتاب والسنة ـ كما قال الشافعي رحمه الله ـ : « يضرب به عرض الحائط » .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1] :

إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته في كل ما أمر ، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة ، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية « أهل الحديث والسنة » الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله ، وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها ، ومعرفة بمعانيها واتباعًا لها ، تصديقًا وعملًا وحبًا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٦، ٣٤٧) .

– **ومن خصائصهم أنهم وسط بين فرق الأمة** : قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن بين أن ملة الإسلام وسط في الملل [1] :

وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق ، فهم في باب « أسماء الله وآياته وصفاته » وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه ، حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال حتى يشبهوه بالمخلوقات . فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف وتمثيل .

وهم في « خلقه وأمره » وسط بين المكذبين بقدرة الله ، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء ، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل . فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب ، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥) .

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير ، فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ، ولا يعجز عن إنفاذ مراده ، وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات .

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل ، وأنه مختار ولا يسمونه مجبورًا ، إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره ، والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله فهو مختار مريد ، والله خالقه وخالق اختياره ، وهذا ليس له نظير فإن الله ليس كمثله شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

وهم في باب « الأسماء والأحكام والوعد والوعيد » وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ، ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ ، وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء ، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان ، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية .

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض

الإيمان وأصله ، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة ، وأنهم لا يخلدون في النار ، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، أو مثقال خردلة من إيمان ، وأن النبي ﷺ ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته .

وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم وسط بين الغالية الذين غلو في عليّ رضي الله عنه ، فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما ، وأن الصحابة ظلموا وفسقوا ، وكفروا الأمة بعدهم كذلك ، وربما جعلوه نبيًا أو إلهًا ، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره ، وكفر عثمان رضي الله عنهما ، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ، ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته .

وكذلك في سائر « أبواب السنة » هم وسط لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان .

– ومن خصائصهم عصمة الله ﷻ لهم عن تكفير بعضهم بعضًا :

قال البغدادي الإسفرائيني [1] : أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضًا ، وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير ، فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يقعون في تنابذ وتناقض ، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض ، وتبرى بعضهم من بعض ، كالخوارج ، والروافض ، والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا ، وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضًا ، حتى قالت اليهود : ﴿ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

---

(١) الفرق بين الفرق (٣٦١) .

- **ومن خصائصهم ﷺ سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ** [(١)] .

كما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

وطاعة للنبي ﷺ في قوله : « **لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** » [(٢)] .

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل ؛ على من أنفق من بعده وقاتل ، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢، ١٥٣) باختصار .

(٢) رواه البخاري (٧/ ٢١) فضائل الصحابة : باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا » ، ومسلم (٦/ ٢٣) فضائل الصحابة : باب تحريم سب الصحابة . والنصيف بمعنى النصف .

ـ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ـ : « **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » (١) .

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة .

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، كالعشرة وكثابت بن قيس بن شماس ، وغيرهم من الصحابة .

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره ، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويثلثون بعثمان ، ويربعون بعلي رضي الله عنه كما دلت الآثار ، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله .

- ومن خصائصهم رفضهم للتأويل .

قال شيخ الإسلام (٢) : لفظ التأويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاثة معان :

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٤٣) الجهاد : باب الجاسوس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه .

(٢) مجموع الفتاوى .

أحدها : أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة كقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٥٣] .

ومنه قول عائشة : « **كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد ، اللهم اغفر لي ، يتأول القرآن** » [1] .

والثاني : يراد بلفظ التأويل : التفسير ، وهو اصطلاح كثير من المفسرين ، ولهذا قال مجاهد إمام أهل التفسير : « إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه » فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه ، وهذا مما يعلمه الراسخون .

والثالث : أن يراد بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره

(١) رواه البخاري (٢/ ٢٩٩) صفة الصلاة : باب التسبيح والدعاء في السجود ، ومسلم (٤/ ٢٠١) الصلاة : باب في الدعاء في الركوع والسجود ، والنسائي (٢/ ٢١٩) الافتتاح : باب الدعاء في السجود .

الذي يدل عليه إلى معنى آخر مرجوح يقترن بذلك فلا يكون معنى اللفظ موافق لدلالة ظاهرة ، وهذا معنى التأويل عند المتأخرين ، وتسمية هذا تأويل لم يكن في عرف السلف .

وقال في موضع آخر [١] : وطريقة التأويل طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم يقولون : إن ما قاله له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ ، وما يفهم منه ، وهو وإن كان لم يبين مراده ولا بين الحق الذي يجب اعتقاده ، فكان مقصوده أن هذا يكون سببًا للبحث بالعقل حتى يعلم الناس الحق بعقولهم ، ويجتهدون في تأويل ألفاظه إلى ما يوافق قولهم ، ليثابوا على ذلك ، فلم يكن قصده لهم البيان والهداية والإرشاد والتعليم ، بل قصده التعمية والتلبيس ولم يعرفهم الحق حتى ينالوا الحق بعقلهم ويعرفوا حينئذ أن كلامه لم يقصد به البيان فيجعلون حالهم في العلم مع عدمه ، خيرًا من حالهم مع وجوده .

ويقولون ألفاظه كثيرة صريحة لا تقبل التأويل ، لكن كان قصده التخييل ، وأن يعتقد الناس الأمر على خلا ف ما هو عليه .

قال ابن القيم رحمه الله [١] مبينًا نتائج التأويل وأثره في الأمة :

« وبالجملة فافتراق أهل الكتابين ، وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، إنما أوجبه التأويل ، وإنما أريقت دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرة وفتنة ابن الزبير وهلم جرا بالتأويل ، وإنما دخل أعداء الإسلام من المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من باب التأويل ، فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل ، فإن محنته إما من المتأولين ، وإما أن يسلط عليها الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخالفوا ظاهر التنزيل وتعللوا بالأباطيل » إلى أن قال [٢] : « وهل دخلت طائفة الإلحاد من أهل الحلول والاتحاد إلا من باب التأويل ، إلا مضادة ومناقضة لحكم الله في تعليمه عباده البيان الذي امتن الله في كتبه على الإنسان

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٢٥١) .

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ٢٥٢) .

بتعليمه إياه ، فالتأويل بالألغاز والأحاجي والأغلوطات أولى منه بالبيان والتبيين ، وهل فرق بين دفع حقائق ما أخبرت به الرسل عن الله وأمرت به بالتأويلات الباطلة المخالفة له ، وبين رده وعدم قبوله ، ولكن هذا رد جحود ومعاندة ، وذاك رد خداع ومصانعة » .

– ومن خصائصهم أنهم يعتقدون أن الدين والإيمان قول وعمل [1] ، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، كما قال ﷻ في آية القصاص : ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

وقال : ﴿ **وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ [الحجرات : ٩-١٠] .

ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١) بتصرف .

في النار كما تقوله المعتزلة ، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء : ٩٢] .

- **ومن خصائصهم اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا** [١] ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ** » [٢] .

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره ، من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد ، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة .

وسموا أهل الجماعة ، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين ، « والإجماع » هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧) .

(٢) سبق تخريجه صـ١٢ .

في العلم والدين .

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين ، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح ، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة .

قال ابن القيم رحمه الله [1] :

لقد استبان والله الصبح لمن له عينان ناظرتان ، وتبين الرشد من الغي لمن له أذنان واعيتان ، لكن عصفت على القلوب أهوية البدع والشبهات والآراء المختلفات ، فأطفأت مصابيحها ، وتحكمت فيها أيدي الشهوات ، فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها وران عليها كسبها وتقليدها لآراء الرجال فلم تجد حقائق القرآن والسنة فيها منفذًا ، وتمكنت فيها أسقام الجهل والتخليط فلم تنتفع معها بصالح الغذاء ، واعجبًا جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولم تقبل الاغتذاء بكلام الله تعالى ونص نبيه

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢٦، ٢٧) .

المرفوع ، واعجبًا كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ فيها والصواب ، وعجزت عن الاهتداء بمطالع الأنوار ومشارقها من السنة والكتاب ، فأقرت بالعجز عن تلقي الهُدَى والعلم من مشكاة السنة والقرآن ثم تلقته من رأي فلان ورأي فلان ، سبحان الله ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس الهُدَى من مشكاتها من الكنوز والذخائر ، وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر ، قنعوا بأقوال استنبطوها بمعاول الآراء فكرًا ، وتقطعوا أمرهم لأجلها زبرًا ، وأوحى بعضهم إلي بعض زخرف القول غرورًا فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورًا ، درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعمرونها ، ووقعت أعلامه من أيديهم فليسوا يرفععونها ، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعرفونها ، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها ، ووقعت أعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها ودثرت معاهده عندهم فليسوا يبصرونها وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها فليسوا يثبتونها ، خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة وعزلوها عن ولاية اليقين ، وشنوا عليها غارات التحريف بالتأويلات

الباطلة ، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم المخذولة كمين بعد كمين ، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام ، فعاملوها بغير ما يليق بها من الجلال والإكرام وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع في صدورها والأعجاز ، وقالوا مالك عندنا عبور ، وإن كان لابد فعلى سبيل المجاز .

أنزلوا النصوص منزلة الخليفة العاجز في هذه الأزمان له السكة والخطبة وما له حكم نافذ ولا سلطان ، حرموا والله الوصول بخروجهم عن منهج الوحي وتضييع الأصول ، وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها فخانتهم أحرص ما كانوا عليها ، حتى إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وتميز لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه ، وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه ، وقدموا على ما قدموه ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، وسقط في أيديهم عند الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه ، فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباءً منثورًا ، ويا عظم المصيبة عندما تبين بوارق آماله وأمانية خلبًا غرورًا ، فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى

والتعصب للآراء بربه ﷻ يوم تبلى السرائر ، وما عذر من نبذ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراء ظهره في يوم لا ينفع فيه الظالمين المعاذر ، أفيظن المعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن ينجو غدًا بآراء الرجال ، ويتخلص من مطالبة الله تعالى له بكثرة البحوث والجدال ، أو ضروب الأقيسة وتنوع الأشكال أو بالشطحات والمشارات وأنواع الخيال ؟ هيهات .

والله لقد ظن أكذب الظن وَمنَّى نفسه أبين المحال ، وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره ، وتزود التقوى وَأْتَمَّ بالدليل ، وسلك الصراط المستقيم ، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم » .

– ومن خصائصهم أنهم يمرون آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل .

قال الشوكاني رحمه الله [1] :

والحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير

(١) الرسائل السلفية للشوكاني رسالة « التحف في مذاهب السلف » (٤، ٥، ٦) .

القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وقد كانوا ـ رحمهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم ـ يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ، ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون ، ولا يتأولون ، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ، ولا ينكره منكر ، ولا يجادل فيه مجادل ، وإن نزع بينهم نازع أو نجم في عصرهم ناجم ، أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم أنه على ضلالة وصرحوا بذلك في المجامع والمحافل ، وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني ، وقال : إن الأمر أُنُف [1] وبينوا ضلالته وبطلان مقالته للناس ، فحذروه إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة .

وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها ، كما فعله التابعون ـ رحمهم الله ـ بالجعد بن درهم ومن قال بقوله وانتحل نحلته الباطلة ، ثم مازالوا هكذا لا يستطيع المبتدع في الصفات أن يتظاهر ببدعته

(١) أي مستأنف بلا سابق قدر .

بل يكتمونها كما تتكتم الزنادقة بكفرهم .

ثم قال رحمه الله : وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا تعرف أن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها ، من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل ، وكانوا إذا سُئلوا عن شيء من الصفات تلوا على السائل الدليل وأمسكوا عن القال والقيل ، وقالوا قال الله هكذا ولا ندرى بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لا نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته ، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ، ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلاَّ بالوقوع في بدعة من البدع التي هي على غير ما هم عليه ، ولا حفظوها عن رسول الله ﷺ ، ولاحفظها التابعون عن الصحابة ، ولاحفظها مَنْ بعد التابعين عن التابعين ، وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في صفات الله متحدة ، والطريقة لهم جميعًا متفقة ، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكلفهم القيام بفرائضه .

- **ومن خصائصهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة** [(١)] ، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا ، ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة ، ويعتقدون معنى قوله ﷺ : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا - وشبك بين أصابعه -** » [(٢)] .

وقوله ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر** » [(٣)] .

ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء ، ويدعون إلي مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٥٨، ١٥٩) .

(٢) رواه البخاري (٥/ ٩٩) المظالم : باب نصر المظلوم وفي المساجد وفي الأدب ، ومسلم (١٦/ ١٣٩) البر : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، والترمذي (٨٦/ ١١٥) البر والصلة : باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ، وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٤٣٨) الأدب : باب رحمة الناس والبهائم ، ومسلم (١٦، ١٤٠) البر والصلة : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

ويعتقدون معنى قوله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا »[1] .

ويندبون إلي أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، ويأمرون ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والإحسان إلي اليتامى والمساكين وابن السبيل ، والرفق بالمملوك ، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بغير حق ، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها . وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة .

- ومن خصائصهم ترك الخصام والجدال والمراء في مسائل الحلال والحرام .

قال ابن رجب رحمه الله[2] : ومما أنكره أئمة السلف الجدال

---

(١) رواه الترمذي (١/ ١٢٧، ١٢٨) ، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢) ، وأبو داود (٤٦٨٢) ، وابن أبي شيبة ، وأبو نعيم ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وقال الألباني : وإنما هو حسن فقط ثم صححه بروايته الأخرى عن ابن حبان – الصحيحة رقم (٢٨٤) .

(٢) فضل علم السلف على الخلف (٢٢ : ٢٦) باختصار .

والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضًا ، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية ، وصنفوا كتب الخلاف ، ووسعوا البحث والجدال فيها ، وكل ذلك محدث لا أصل له ، وقد أنكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في السنن « **ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل** » ، ثم قرأ : ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [الزخرف : ٥٨] (١) .

وقال بعض السلف : إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبدٍ شرًا أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل .

وقال مالك : أدركت أهل هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم ، يريد المسائل وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا .

---

(١) رواه الترمذي (١٢/ ١٣٣، ١٣٤) التفسير : باب من تفسير سورة الزخرف ، وابن ماجه رقم (٤٨) في المقدمة : باب اجتناب البدع والجدل ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٥٢، ٢٥٦) وقال الترمذي حسن صحيح ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

وقد ورد النهي عن كثرة المسائل ، وعن أغلوطات المسائل ، وعن المسائل قبل وقوع الحوادث ، فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلًا ولا عجزًا ، ولكن سكتوا عن علم وخشية الله ، وما تكلم من تكلم وتوسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حب للكلام وقلة ورع .

كما قال الحسن وسمع قومًا يتجادلون : هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا .

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك ، وهذا جهل محض ، وانظر إلي أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد ين ثابت كيف كان كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه ، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة والصحابة أعلم منهم ، وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم ، فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة

المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل ، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد .

وقد كان النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارًا ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال [١] .

– **ومن خصائصهم أن ما يقولونه من الكلام الذي لا يفهمه بعضهم هو كلام في نفسه حق** [٢] ، وقد آمنوا بذلك وأما المتكلمة فيتكلفون من القول ما لا يفهمونه ولا يعلمون أنه الحق ، وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة ، بل إما في تأييده وإما في فرع من الفروع وأولئك « أي المتكلمة » يحتجون بالحدود والمقاييس الفاسدة في نقض الأصول الحقة الثابتة .

---

(١) روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعًا وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** » ، وفي مسلم : « **كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع** » .

(٢) نقض المنطق (٢٣ ، ٢٤) .

إذا عرف هذا فقد قال الله تعالى عن أتباع الأئمة من أهل الملل المخالفين للرسل : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [غافر : ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب : ٦٨] ، ومثل هذا في القرآن كثير .

وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين ، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك ، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان ، وهم الطائفة الناجية من كل ملة وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة . فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة ، ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول ﷺ مما يجهله غيرهم أو يكذب به .

- ومن خصائصهم محافظتهم على الجمع والأعياد والجماعات ولا يدعونها لأوهى الأسباب .

قال شيخ الإسلام [١] : ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات ، لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم ، فإن كان الإمام مستورًا لم يظهر منه بدعة ولا فجور صَلّوْا خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه لا يجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره ، بل مازال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور .

وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يحب أن لا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب ، كما نقل ذلك عن أحمد أنه ذكر ذلك لمن سأله ، ولم يقل أحمد إنه لا تصح إلا خلف من يُعْرَفُ حاله . فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين ، ومن قال إن الصلاة محرمة أو باطلة خلف

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٠) باختصار .

من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره ، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان قد شرب الخمر ، وصلى مرة الصبح أربعًا وجلده عثمان بن عفان على ذلك .

وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف ، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد ، وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلى الضلال .

- **ومن خصائصهم أنهم أعظم الناس صبرًا على أقوالهم ومعتقداتهم** ، ولذا لما سأل قيصر أبا سفيان عمن أسلم مع النبي ﷺ : « **هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه ؟ قال : لا . قال : وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد** » [1] .

ولهذا قال بعض السلف : من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل .

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣١، ٣٢) بدء الوحي .

قال شيخ الإسلام [١] : أما أهل السنة والحديث فما يُعلم أن أحدًا من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده ، بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن وفتنوا بأنواع الفتن ، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم ، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة ، حتى كان مالك رحمه الله يقول : « لا تغبطوا أحدًا لم يصبه في هذا الأمر بلاء » يقول : إن الله لابد أن يبتلي المؤمن فإن صبر رفع درجته ، كما قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١-٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝ ﴾ [السجدة : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝ ﴾ [العصر] .

---

(١) نقض المنطق (٤٢ ، ٤٣) ومجموع الفتاوى (٤/ ٥٠ ، ٥١) .

ومن صبر من أهل الأهواء على قوله فذاك لما فيه من الحق ، إذ لابد في كل بدعة عليها طائفة كبيرة من الناس أن يكون فيها من الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ، ويوافق عليه أهل السنة والحديث ما يوجب قبولها إذ الباطل المحض لا يقبل بحال .

وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة .

ومن خصائصهم تصديقهم بكرامات الأولياء : والكرامة : هي الخارقة التي تأتي على يد ولي من أولياء الله ﷻ وليست كل خارقة كرامة بل الخارقة إما أن تكون خارقة شيطانية ، وإما أن تكون خارقة رحمانية ، والمقياس الذي لا يجوز هو مقياس الكتاب والسنة ، فلابد أن يقاس الشخص بمقياس الكتاب والسنة ، وأن تقاس كذلك الخارقة بمقياس الكتاب والسنة ، فالكرامة لا تأتي على يد مبتدع أو معروف بالفسق والفجور ، أو غير متشرع بشرع الله ﷻ .

قال شيخ الإسلام [١] :

ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات ، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة .

- **ومن خصائصهم ما قاله شيخ الإسلام [٢] أنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال** ، وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوى الإدراك ويصححه قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء : ٦٦-٦٨] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠) .

وهذا يعلم تارة من موارد النزاع بينهم وبين غيرهم ، فلا تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم ، وتارة بأن كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الأخرى ، وتشهد بالضلال على كل من خالفها أعظم مما تشهد به عليهم .

– ومن خصائص أهل السنة تعظيم الأمة لهم واعترافها بفضلهم .

قال شيخ الإسلام [1] :

« هذا أمر ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين ، لا تجد في الأمة عُظِّم أحد تعظيمًا أعظم مما عُظموا به ، ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه ، كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم .

حتى تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك ، كما قال الإمام أحمد : « آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز » فإن الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته ، فأما وقت الموت فلابد من الاعتراف بالحق من عموم الخلق ،

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠، ١١، ١٢) .

ولهذا لم يعرف في الإسلام مثل جنازته مسح المتوكل موضوع الصلاة عليه فوجد ألف ألف وستمائة ألف ليس سوى من صلى في الحانات والبيوت ، وأسلم يومئذ من اليهود والنصارى عشرون ألفًا ، وهو إنما نبل عند الأمة باتباع السنة .

وكذلك الشافعي وإسحاق وغيرهما ، إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث والسنة ، وكذلك البخاري وأمثاله إنما نبلوا بذلك ، وكذلك مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة وغيرهم إنما نبلوا في عموم الأمة وقبل قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنة ، وما تُكُلِّمَ فيمن تكلم فيه منهم إلا بسبب المواضع التي لم يتفق له متابعتها من الحديث والسنة ، إما لعدم بلاغها إياه أو لاعتقاده ضعف دلالتها ، أو رجحان غيرها عليها .

وكذلك المسائل الاعتقادية الخبرية ، لم ينبل أحد من الطوائف ورؤوسهم عند الأمة إلا بما معه من الإثبات والسنة فالمعتزلة أولًا ـ وهم فرسان الكلام ـ إنما يحمدون ويعظمون عند أتباعهم وعند من يغضي عن مساويهم لأجل محاسنهم عند

المسلمين بها وافقوا فيه مذهب أهل الإثبات والسنة والحديث ، وردهم على الرافضة بما خرجوا فيه عن السنة والحديث ، من إمامة الخلفاء وعدالة الصحابة ، وقبول الأخبار ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والغلو في علي ، ونحو ذلك » ا.هـ .

قيل لأبي بكر بن عياش [١] : إن في المسجد قوما يجلسون ويُجلس إليهم فقال : من جلس للناس جلس الناس إليه ، ولكن أهل السنة يموتون ويَحْيَا ذكرهم ، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم ، لأن أهل السنة أحيوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ ، وأهل البدعة أماتوا ما جاء به الرسول ﷺ ، فكان لهم نصيب من قوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر : ٣] فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئًا مما جاء به الرسول ، أو ترده لأجل هواك ، أو انتصارًا لمذهبك أو شيخك أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا ، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسول الله ﷺ ،

---

(١) غاية الأماني لمحمود الألوسي (٢/ ٢٤٩) نقلًا عن شيخ الإسلام في تفسير سورة الكوثر .

والأخذ بما جاء به ، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله تعالى عن مخالفة أحد .

- **ومن خصائصهم محبة من أحبه الله ورسوله ﷺ** [١] ، **وأمر بحبه من القرابة والصحابة** ، وقد دلت النصوص الجمة المتواترة على وجوب محبتهم وموالاتهم وأن يكون معهم ، ففي الصحيح : « **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ؛ ولا تؤمنوا حتى تحابوا** » [٢] وفيه : « **المرء مع من أحب** » [٣] .

ومما يخص أهل بيت رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . وقوله تعالى : ﴿ **قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾ [الشورى : ٢٣] . وإجماع الأمة وتواتر الأخبار بشرع الصلاة

---

(١) إيثار الحق على الخلق للعلامة ابن الوزير (٤١٦ ، ٤١٧) بتصرف .

(٢) رواه مسلم (٢/ ٣٥) الإيمان : باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وأخرجه الترمذي مطولًا في صفة القيامة .

(٣) حديث متواتر .

عليهم في تشهد الصلاة ، فيجب لذلك حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم واحترامهم والاعتراف بمناقبهم ، فإنهم أهل آيات المباهلة والمودة والتطهير وأهل المناقب الجمة والفضل الشهير .

كذلك دلت النصوص المتواترة على وجوب حب أصحاب رسول الله ﷺ وآله رضي الله عنهم وأرضاهم وتعظيمهم وتكريمهم واحترامهم وتوقيرهم ورفع منزلتهم ، والاحتجاج بإجماعهم والاستنان بآثارهم ، واعتقاد ما نطق به القرآن الكريم والذكر الحكيم من أنهم خير أمة أخرجت للناس . وفيهم يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وكذلك يجب حب المؤمنين علماءهم وعامتهم ، ونصيحتهم وإكرامهم ، لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : **« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »** [(١)] .

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧٥) الإيمان : باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ومسلم (٢/ ١٦) الإيمان : باب من خصال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك .

ويحذر المؤمن من مشاحتهم ، وإضمار الغل لهم ، وكذلك يجب المحافظة على هذا الحب والتواصي به على مقتضى ما وصف الله تعالى به المؤمنين من التواصي بالحق والصبر والمرحمة ، جعلنا الله من العاملين بذلك وهو الهادي إلى سواء السبيل لا إله إلا هو نعم المولى ونعم النصير ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

– ومن خصائصهم تورعهم في الفتوى .

قال ابن رجب رحمه الله [١] : ومن هذا القبيل [٢] كراهة السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها والمسارعة إليها والإكثار منها .

قال علقمة : كانوا يقولون أجرؤكم على الفتيا أقلكم علمًا .

وعن البراء قال : أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ، يسأل أحدهم عن المسألة ما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه ، وفي رواية فيردها هذا إلى هذا

---

(١) شرح حديث « ما ذئبان جائعان » (١٤/ ١٥) دار الفتح باختصار .

(٢) أي من طلب الشرف بالدين .

وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : أعلم الناس بالفتاوى أسكتهم ، وأجهلهم بها أنطقهم .

وقال سفيان الثوري : أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدًا من أن يفتوا وإذا أعفوا منها كان أحب إليهم .

وقال الإمام أحمد : ليعلم المفتي أنه يوقع عن الله أمره ونهيه وأنه موقوف ومسئول عن ذلك ، وكان ابن سيرين إذا سئل عن شيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان .

وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول : ما وجدت أحدًا تسأله غيري ؟ وقال قد تكلمت ولو وجدت بدًا ما تكلمت ، وإن زمانًا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء .

وقال بعض العلماء لبعض المفتين : إذا سألت عن مسألة

فلا يكن همك تخليص السائل ولكن تخليص نفسك أولًا .

- ومن خصائصهم أنهم يعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان ، وليستا معدومتين وينشئهما الله يوم القيامة كما زعمت القدرية والمعتزلة .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله [١] :

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين في ذلك إلي نصوص الكتب والسنة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلي آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها [٢] ، وأخبروا بها إلي أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن ، وقالت : بل الله ينشئها يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله ، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل

(١) حادي الأرواح (١٤، ١٥) مكتبة نهضة مصر .
(٢) أي الجنة .

كذا ، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات ، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مددًا متطاولة ليس فيها سكانها ، قالوا : ومن المعلوم أن ملكًا لو اتخذ دارًا وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها لم يكن ما فعله واقعًا على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلًا إلى الاعتراض عليها فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة ، وشبهوا أفعاله بأفعالهم ، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها ، وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها ، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء ، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها .

خاتمة
في بيان عقيدة الفرقة الناجية

قال أبو الحسن الأشعري [(١)] :

جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة ، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون من ذلك شيئًا ، وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى على عرشه كما قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، وأن له يدين بلا كيف كما قال : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] . وكما قال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] . وأن له عينين بلا كيف كما قال : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر ١٤] . وأن له وجهًا كما قال تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، وأن

(١) « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » نقلًا عن كتاب « حادي الأرواح » (١٢ : ١٨) مكتبة نهضة مصر .

أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج .

وأقروا أن لله علمًا كما قال : ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [النساء : ١٦٦] ، وكما قال : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ [فاطر : ١١] . وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة وأثبتوا أن لله القوة كما قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] .

وقالوا أنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] . وكما قال المسلمون : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » ، وقالوا إن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله ، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله ، أو أن يفعل شيئًا علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى ، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى ، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا ، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين ، ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا

أصلحهم ولا هداهم ، ولو أصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ، ولا أصحلهم ولا هداهم ، ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ، كما قال ويلجئون أمرهم إلي الله ويثبتون الحاجة إلي الله في كل وقت ، والفقر إلي الله في كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف واللفظ ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال غير مخلوق .

ويقولون إن الله تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى ليله البدر [1] ، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله تعالى

(١) لعله كما يرى القمر ليلة البدر .

محجوبون ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] . وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ولا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة ، وما أشبه ذلك من الكبائر ، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم .

والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله كما جاء في الحديث ، والإسلام عندهم غير الإيمان ، ويقرون بأن الله مقلب القلوب ، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ وأنها لأهل الكبائر من أمته ، وبعذاب القبر ، وأن الحوض حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله لعباده حق ، والوقوف بين يدي الله تعالى حق .

ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ، ويقولون أسماء الله هي الله تعالى .

ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء ، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم .

ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قومًا من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ، وينكرون الجدال والمراء في الدين ، والخصومة في القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدال ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلًا عن عدل ، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ .

ولا يقولون : كيف ؟ ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة .

ويقولون : إن الله تعالى لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ، ولم يرض بالشرك وإن كان مريدًا له .

ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، ويأخذون بفضائلهم ، ويُمسِكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدِّمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم

عليًا - رضي الله عنهم - ، ويقررون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ .

ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ : « **إنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مستغفر ؟** »[1] ، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى : ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ** ﴾ [النساء : ٥٩] .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يبتدعون في دينهم ما لم يأذن به الله ، ويقرون بأن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال : ﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا** ﴾ [الفجر : ٢٢] .

وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال : ﴿ **وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ** ﴾ [ق : ١٦] .

ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر ويثبتون المسح على الخفين سنة ، ويرونه في الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه

---

(١) رواه مالك (١/ ٢١٤) .

ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، وأن لا يخرج عليهم بالسيف .

وأن لا يقاتلوا في الفتنة ويصدقون بخروج الدجال ، وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله .

ويؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراج ، والرؤيا في المنام ، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم .

ويصدقون أن في الدنيا سحرة ، وأن الساحر كافر كما قال الله تعالى ، وأن الساحر كائن موجود في الدنيا .

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات مات بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالًا كانت أو حرامًا ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم .

وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ، وأن الأطفال [1] أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد .

وأن الله أعلم ما العباد عاملون ، وكتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله تعالى ، ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله تعالى ، والانتهاء عما نهى عنه ، وإخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العابدين ، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازدراء على الناس والعجب .

ويرون مجانبة كل داع إلي بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق ، وبذل المعروف وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية ، وتفقد المآكل والمشارب .

---

(١) الجمهور على أن أطفال المسلمين في الجنة كما قال ﷺ : « **صغارهم دعاميص الجنة** » وصححه الألباني ، والخلاف في أولاد الكفار والراجح أنهم في الجنة كذلك لقوله ﷺ في حديث سمرة وهو في البخاري وغيره : « **وأما الأطفال فأولاد الناس** » ولغير ذلك من الأدلة وقد فصل ابن القيم هذه المسألة في كتاب « طريق الهجرتين » .

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويروونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير .

انتهى بحمد الله تعالى ما تيسر لنا جمعه ونسأل الله يوم القيامة بره وذخره وكانت المراجعة النهائية يوم الجمعة عشرين محرم سنة ١٤٠٧هجرية على صاحبها أزكى صلاة وأتم التسليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مراجع الكتاب

- القرآن الكريم
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط . السلفية .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، ط . المطبعة المصرية .
- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- شرح السنة للإمام البغوي ، دار بدر .
- الموافقات للشاطبي .
- الاعتصام للشاطبي .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، مكتبة ابن تيمية .
- إعلام الموقعين لابن القيم ، مكتبة الكليات الأزهرية .
- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ، دار الفكر .
- شفاء العليل لابن القيم ، مكتبة الرياض .
- جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، دار الفاروق .
- معارج القبول لحافظ بن أحمد حكمي ، المكتبة السلفية .
- السلسلة الصحيحة ، للألباني ، المكتب الإسلامي .

- رسالة المسترشدين للمحاسبي ، بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة .
- تلبيس إبليس لابن الجوزي ، المطبعة المنيرية .
- الرسائل السلفية للشوكاني ، مكتبة ابن تيمية .
- نقض المنطق لابن تيمية ، مكتبة السنة المحمدية .
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، دار الكتب الإسلامية .
- حادي الارواح لابن القيم ، مكتبة نهضة مصر .
- قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي ، دار الدعوة .
- البحر الرائق في الزهد والرقائق للمصنف ، نور الإسلام .
- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري .
- السنة لابن أبي عاصم ، ومعه ظلال الجنة للألباني ، المكتب الإسلامي .
- إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ، دار الكتب العلمية .
- إرواء الغليل لناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .
- جامع الأصول لابن الأثير ، بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر .

الفهرس

الموضوع — الصفحة